

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

كلية الآداب و الفنون

قسم اللغة العربية و آدابها

عنوان المذكرة :

أثر الفكر الإستشراقي عند طه حسين في  
كتابه "في الشعر الجاهلي" و "في الأدب  
الجاهلي"

مذكرة نهاية الدراسة لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية و آدابها

تخصص : أدب مقارن و عالمي

إشراف الأستاذ :

❖ شهري محمد

من إعداد الطالبة :

❖ مسقم مامة

السنة الجامعية : 2018/2017

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى الشمعة التي أنارت دربي إلى

الصدر الحنون و القلب الرفيق إلى أعز ما أملك في

الدنيا التي يهواها قلبي أُمي حفظها الله

إلى من ناضل من أجلي و وفر لي كل وسائل الراحة أبي

العزیز حفظه الله

إلى النجوم التي أهتدي بهم إخوتي حفظهم الله

إلى كل من أعرفهم و لم يسمعهم قلبي

# الشكر

تقربا منا لشكر الله لأنه من لم يشكر

الخلق لم يشكر الخالق.

أتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ

المشرف شهري على ما قدمه لي من

دعم في إنجاز بحثي من توجيهاته و

نصائحه القيمة.

كما أشكر جميع الأساتذة القسم اللغة

العربية و آدابها كما أتقدم بالشكر إلى

كل من دعمني و ساندني في إنجاز

هذا البحث.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على الهادي الأمين و على اله و صحبه  
اجمعين ومن سار على نهجه إلى اليوم الدين و الحمد لله الذي جعل اللغة العربية اللغة  
الإعجاز و البيان أما بعد :

ينبغي الحديث عن طه حسين في كتب الأدب والنقد حديث واسع، من الصعب الإحاطة  
بكل آرائه النقدية والفلسفية، نظرا لما خلفه من زخم فكري وأدبي، حتى غدا موضوعا من  
الموضوعات التي أثارت حفيظة الكثير من النقاد المعاصرين له وغير المعاصرين.  
كيف لا وقد نبش بمؤلفاته وشك في ذاكرة ماضي الأمة العربية الإسلامية المتمثل خاصة في  
لغتها وأدبها وهو الأمر الذي يعنينا في هذا البحث، أراد غربلته قصد الخروج بنتائج  
مستنبطة من الواقع، تساير النظريات الفلسفية الحديثة، فحاول مناقشة قضايا فكرية وأدبية  
ونقدية وفلسفية وحضارية وسياسية جديدة، تعتمد منها عقلانيا تجسد خاصة في كتابه " في  
الشعر الجاهلي" الصادر في 1926 م، والذي أعاد طبعه بعد سنة من مصادرة الطبعة  
الأولى تحت عنوان " في الأدب الجاهلي " باعتباره أقدم أدب بالنسبة للأمة العربية، والذي  
حاول قراءته قراءة خاصة عاملا على أن يصل من خلاله إلى إقناع قرائه بضرورة انتهاج  
منهج الشك الديكارتي في دراسة الأدب.

ويعد كتابه " في الشعر الجاهلي " من أكثر المؤلفات التي إعترض عليها الكثير من  
النقاد ممن رفضوا التجديد الذي حمله طه حسين ودعا إليه، انطلاقا من روح علمية ميزت  
فكره في هذه المرحلة، مما كان سببا في نشوء مناظرات نقدية حوله، أدت إلى اختفائه فترة  
تزيد عن نصف قرن، ونتيجة تطور البحوث العلمية فقد أعيد الإعتبار للكتاب ولصاحبه بعد  
ذلك، فعاش آخر حياته عميدا للأدب مناضلا من أجل حرية التعبير. و على هذا الأساس  
أقمت بحثي تحت عنوان أثر الفكر الإستشراقي عند طه حسين في كتابيه " في الشعر  
الجاهلي " و " في الأدب الجاهلي " محاولة الكشف عن أهم المواقف النقدية، والأسس التي  
بنيت عليها، ناهيك عن النقاشات الواسعة التي أثارها.



ما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع، دوافع ذاتية وأخرى موضوعية رغم ما عقد عنه من دراسات أكاديمية ونقدية:

❖ أما الأولى فرغبتي في معرفة مضمون هذا الكتاب الذي كان له الصدى الأعظم في الأوساط الفكرية والأدبية، وكان سببا في إحداث ضجة واسعة .

❖ وأما الثانية فتتمثل في نظرة الشك التي اعتمدها طه حسين والتي كانت محل نقاش واختبار لدى الدارسين، وقد رأيت أن أعمل على الإدلاء بتصور في هذه الإشكالية، معتمدا في ذلك على قراءة ما ذهب إليه طه حسين وما وقف عنده عدد كبير من النقاد العرب، خاصة في مصر، والوقوف على حقيقة هذه الضجة ومدى موضوعيتها في دراسة مواقف طه حسين .

واقترضت هذه الدراسة أن أقسم البحث إلى مقدمة و ثلاث فصول و مدخل حول ظاهرة الإستشراق، وأنهيته بخاتمة.

❖ تناولت في الفصل الأول معالم حياة طه حسين العلمية والثقافية، وبصمات نظريته انطلاقا من ميلاده ونشأته بين مسقط رأسه وتدرجه العلمي بين الأزهر وجامعة القاهرة ورحلته إلى فرنسا، وما تركته من آثار عاطفية ونزعة نقدية وما تبع ذلك من مؤلفات في حقول معرفية متعددة مثيرة للجدل .

❖ و تناولت في الفصل الثاني أثر الفكر الاستشراقي لدى طه حسين، والمنهج الذي اعتمده في كتابه، وعن منهج الشك الديكارتي، والأسس التي يبنى عليها؛ ومبررات اختيار طه حسين لهذا المنهج؛ وأعقبته بجملة من الآراء المضادة.

❖ أما في الفصل الثالث فقد تناولت منهجية الشك و نتائجها، ثم أعقبته بدراسة موضوعية لكتابه "في الأدب الجاهلي".

والمتعارف عليه أن كل بحث تواجهه صعوبات، فمن الصعوبات التي واجهتني خلال إعدادي هذا البحث أذكر ما يلي :

قلة المراجع المتعلقة بالموضوع في المكتبة، تعدد الآراء النقدية حول كتاب "في الأدب الجاهلي"، زاد من صعوبة البحث وألزمي وقتا لأصنف تلك الآراء ووضعها في مكانها من البحث.

مرّ الأدب العربي بمراحلٍ أولها العصر الجاهلي الذي كان عبارة عن ملاحظات وآراء شعرية ونثرية أساسها الذوق السليم والفطرة الطبيعية، وقد انكشف الأدب في مباريات وأندية كسُوق عُكاظ الذي كان يُعج بأهل الشعر وتعرض فيه الأحكام الشعرية و النقدية.

ومع دخول الإسلام الأماكن والأمصار قلا بعضه وهذب لفظه وعز نظمه، وتقدم شأنه في عصر الدولة الأموية وذلك في مجالس الأمراء الأدبية وعطاءاتهم السخية، فأقبلوا عليه دون إحجام، أما في الزمن العباسي أُقيم صرح الأدب واللغة وجميع العلوم وتناول أهل الأدب ديوانهم بالنقد والتحليل والتصنيف، وحاولوا أن يردّوا كل نص إلى مصدره وأن يبحثوا في الرواة ومبلغهم من الصدق والكذب، ونذكر منهم "طبقات فحول الشعراء" (لابن سلام الجمحي)، و"الشعر والشعراء" (لابن قتيبة)، و"نقد الشعر" (لقدامة بن جعفر)، و"الوساطة بين المتنبي وخصومه" للقاضي الجرجاني، و"دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة" (لعبد القاهر الجرجاني) وغيرهم كثير. ويعتبر كتاب البيان والتبيين "للجاحظ" و"أدب الكاتب" لابن قتيبة و"الكامل للمبرد والنوادر" (لأبي علي القالي) (1)

وجاءت بعد زمن أرمدة من علماء الاستشراق أزالوا الغبار عن مخطوط العرب حيث جمعوا الكتب، ونشروا نفائسها وأنشؤوا المكتبات وأسسوا المعاهد ووظفوا الأسلوب العلمي والمنهج الأكاديمي في بحوثهم، فكانوا في كثير من الأحيان قدوة للدارسين العرب المحدثين من معلمي لغتهم ومؤرخي تراثهم وباحثي أدبهم ونقدهم.

لقد ثور المستشرقون عدة قضايا في أدبنا المعاصر، وما كانا من بعض العرب إلا اختيار طريقهم ونهجهم، ومنهم من اكتفى بالرد عليهم وعلى أتباعهم مما أدى في النهاية إلى نهضة أدبية كبيرة خاصة في النصف الأول من هذا القرن، وظل صدها يتردد من حين إلى حين آخر إلى الآن وربما سيظل أمداً طويلاً.

(1) ابن خلدون مقدمة، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، (د.ت).

## تعريف الاستشراق :

يقول (ادوارد سعيد) فقد كان المستشرقون لعقود قد تحدثوا عن الشرق وترجموا النصوص، وفسروا الحضارات والأديان والسلالات والثقافات والعقليات، وكان المستشرق خبيراً مثل (ساسبي) و(رينان) ووظيفته في المجتمع أن يُفسر الشرق ويُترجمه لأبناء قومه؛ وكانت العلاقة بين المستشرق والشرق بصورة أساسية تأويلية، فإذا وقف المستشرق والباحث أمام حضارة أو منجز ثقافية نائية لا تكاد تفهم، قلّص الإيهام عن طريق الترجمة، والتصور المتعاطف، بيد أن المستشرق بقي خارج الشرق الذي بقي نائياً عن<sup>(1)</sup> الغرب

بالإضافة إلى أن الغربيين اقتنعوا بأنه لكي يكون هناك تقدماً فكرياً وحضارياً واقتصادياً، فلا بد أن يسلك نفس الطريق الذي سلكه أهل الشرق، حيث بدأوا بإنشاء المدارس والمعاهد والمراكز لتعلم اللغة العربية، ووصل إهتمامهم بعلوم العرب أن قام (فريدريك الثاني Feridérique) ملك صقلية في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي و(الفونس Alfonso) ملك قشتالة في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي بترجمة العلوم العربية، ثم اقتدى بهم ملك أوربا، وانتهى الأمر بعقد مؤتمر في فيينا عام 1311م برئاسة (البابا كليمان الخامس Climane) وقرر في هذا المؤتمر تأسيس خمس مدارس خاصة في باريس، وبولونيان، وأكسفورد، والمدينة البابوية، يدرس فيها العربية والعبرانية، والكلدانية، حتى يمكن تخريج مبشرين يستطيعون تنصير المسلمين واليهود، أو تشكيكهم في اعتقاداتهم<sup>(2)</sup>

ويتجلى مما قدم أن الاستشراق قد إنصبت عنايته على التراث الشرقي كُله قديمه وحديثه بوجه عام، وعكف بكُل ما أوتي من وسائل مادية ومعنوية على دراسة نُظم الإسلام بوجه خاص، إذ هو المفتاح الأساس لفهم عقلية الشرق وأحوالهم؛ وأيقن أن حقيقة الشرق

(1) أبو نصر الفارابي، الموسيقى الكبير، غطاس عبد الملك خشبة، مراجعة محمود أحمد الحفني، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.

(2) ديفيد صمويل مرجوليوث، نشأة الشعر العربي، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، لبنان

هي دراسة اللغة العربية للتعقق والولوج في حضارة العرب، كما قام بترجمة عدد هائل من الكتب العربية إلى اللغات المختلفة، وعني بتحقيقها وكشف عن مخطوطاتها ونظم فهارسها، وهذا التحقيق والمعالجة في النصوص قام بها أسلافنا الأقدمون في رواية كتب الحديث واللغة والشعر والأدب والتاريخ في دقة وأمانة وجهد وطلب، وتبنى المستشرقون إحياء هذه الفنون والعلوم، ونبغ منهم علماء قاموا بنشر نفايس جليلة من التراث العربي ولولا عناية المستعمرين بإحياء آثارنا، لما إنتهت إلينا تلك الدرر الثمينة التي أخذناها من طبقات الصحابة، وطبقات الحفاظ، ومُعجم البلدان، ومُعجم الأدباء، ومُعجم ما أستعجم، وفتوح البلدان، وفهرست (ابن النديم)، ومفاتيح العلوم، وطبقات الأطباء، وإخبار الحكماء، و(الهمداني)، و(شيخ الربوة)، و(ابن جبیر)، و(ابن بطوطة) إلى عشرات من الكتب الجغرافية، والرحلات التي فتحت أمامنا معرفة بلادنا في الماضي، ووقفنا على درجة حضارتنا، ولولا إحيائهم تاريخ (ابن جبیر) و(ابن الأثير) و(أبي الفداء) و(اليعقوبي) و(الدينوري) و(المسعودي) و(أبي شامة) و(ابن الطقطقي)، و(حمزة الأصفهاني) وأمثالهم لجهلنا تاريخنا الصح(1)

(1) سعيد، ادوارد، الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، ط6، لبنان، دار الأبحاث العربية، 2003م

## آثار المستشرقين في النقد الأدبي الحديث :

شارك الاستشراق بنهضة الأدب العربي وهذا باعتراف الدارسين والباحثين، وقد إهتم المستشرقون اهتماماً كبيراً بتاريخ وتاريخ الأدب العربي، حيث قُسم تاريخ الأدب العربي حسب العصور السياسية المختلفة نظام الحكم وما قام به القدماء العرب هو تصنيف الأدباء حسب مواليدهم أو حسب وفاتهم وفي بعض الأحيان حسب أنواع مواضيعهم المختلفة.

ف نجد مثلاً (كارل بروكلمان Carl Brockelmann) يقسم كتابه "تاريخ الأدب العربي" إلى خمسة عصور:

- عصر ما قبل الإسلام حتى نهاية الأمويين 132هـ
- عصر الدولة العباسية
- عصر ما بعد سقوط بغداد
- عصر البعث الجديد في القرن الماضي حتى العصر الحاضر (1)

ويذهب (نالينو Nallino) في كتابه "تاريخ الآداب العربية" إلى تقسيم تاريخ الأدب إلى ستة عصور:

- العصر الجاهلي
- العصر العربي الإسلامي حتى سقوط الدولة الأموية 750م
- العصر العباسي الأول
- العصر العباسي الثاني
- عصر الانحطاط
- عصر البعث الجديد (2)

(1) كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار دار المعارف، مصر، 1962م.

(2) كارل نالينو، تاريخ الآداب العربية، دار المعارف، مصر، 1970م

وكان الدكتور طه حسين في طبيعة المتأثرين بهذا المنهج الجديد في الدراسات الأدبية وكان تأثره هذا عميقاً إلى درجة أنه كان كثيراً ما يأخذ بآراء المستشرقين ويتحمس في الدفاع عنها في مجال إصدار الأحكام حول الأدب العربي القديم وخاصة الجاهلي منه، بل إننا نستطيع أن نقول دون أدنى مبالغة أن طه حسين لم يكن في الحقيقة سوى ثمرة من ثمرات الإستشراق، ومُبشر بالمبادئ والأصول التي دعا إليها المستشرقون في مجال دراسة الأدب، وعلى صعيد الرؤية العامة للأدب العربي الكلاسيكي في عصوره المختلفة ولعل تأثره بالمستشرق (صموئيل مرجليوث **David Samuel Margoliouth**) الذي نفى أن يكون الشعر الجاهلي الذي بين أيدينا معبراً عن العصر الجاهلي وإنما هو في رأيه نتاج مرحلة تالية لظهور الإسلام<sup>(1)</sup>، السبب في ذلك.

ويؤسس (**مرجليوث Margoliouth**) شكه من ناحية أخرى على أساس المماثلة بين لغتي القرآن الكريم والشعر الجاهلي، متخذاً من هذا التماثل دليلاً على أن ما وصلنا من الشعر الجاهلي إنما هو وليد مرحلة لاحقة لظهور الإسلام يضاف إلى هذا أن (**مرجليوث Margoliouth**) يلمح ملاحظات تتجلى في طبيعة القصص الديني والألفاظ الإسلامية التي تشيع في الشعر الجاهلي فضلاً عن خلوه من الآثار الدينية الوثنية. ومن جملة الآراء التي أبداها الدكتور طه حسين حول الأدب العربي القديم من واقع تأثره بآراء المستشرقين، القول بأن الجزء الأكبر من الشعر الجاهلي إنما هو في الحقيقة شعر منتحل، وقد أطلق هذه الفكرة قبله المستشرق الإنجليزي (**مرجليوث Margoliouth**) قائلاً: بدأ المسلمون في حوالي نهاية العصر الأموي يدعون وجود شعر جاهلي عربي، ولم يكتفوا بذلك حتى زعموا أنهم جمعوا الجزء الأعظم منه<sup>(2)</sup>.

وقد بلغ من تحمس طه حسين لمناهج المستشرقين في البحث الأدبي، والإستنتاجات التي توصلوا إليها في هذا المجال أنه قال في نصه: وكيف نتصور أستاذاً للأدب العربي لا يلم ولا ينتظر أن يلم بما انتهى إليه الفرنج من النتائج العلمية حين درسوا تاريخ الشرق

(1) ديفيد صمويل مرجوليوث، نشأة الشعر العربي، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، لبنان

ط1، سنة 1979م.

(2) ريجيس بلاشير، تاريخ الأدب العربي، تر. إبراهيم الكيلاني، دار التونسية للنشر، تونس 1986م.

وآدابه ولغاته المختلفة؟ وإنما يُلتَمَسُ العلمُ الآن عند هؤلاء الناس، ولا بد من التماسه عندهم حتى يتاح لنا نحن أن ننهض على أقدامنا، ونطير بأجنحتنا، ونسترد ما غلبنا عليه هؤلاء الناس من علومنا وآدابنا وتاريخنا. (1)

هذا إذن هو المذهب أو النظرية الخطرة التي قادت طه حسين إلى أن يصطنع في البحث عن الأدب وتاريخ فنونه، وينتهي به إلى أن يضع علم المتقدمين كله موضع الشك الذي ينتهي في كثير من الأحيان إلى الإنكار والجحود وهو يريد أن يقلب العلم القديم رأساً على عقب.

(1) كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار دار المعارف، مصر، 1962م.

## 1. طه حسين الميلاد والنشأة:

ولد طه حسين عام 1889م، وعاش طفولته الباكرة في إحدى قرى الريف المصري، كان جاداً فحفظ القرآن الكريم، أتقن التجويد وهو ابن سبع سنوات، وأصر على حضور الدروس التي تلقى في كتاب القرية، وانصرف منذ طفولته المبكرة إلى الاستماع إلى القصص والأحاديث، وانضم إلى رفاق أبيه في ندوة العصر في فناء البيت، يستمع إلى آيات القرآن وقصص الغزوات والفتوح وأخبار عنصرة والظاهر بيبرس وأخبار الأنبياء<sup>(1)</sup>. والنسّاك الصالحين، فنشأ على خلفية واضحة وجليّة، وثقافة كبيرة ومتميزة في التاريخ العربي الإسلامي القديم.

هو (طه بن حسين بن علي بن سلامة) أديب وناقد مصري، لُقّب بعميد الأدب العربي. غيّر الرواية العربية، مبدع السيرة الذاتية في كتابه "الأيام" الذي نشر عام 1929. يعتبر من أبرز الشخصيات في الحركة العربية الأدبية الحديثة. يراه البعض من أبرز دعاة التنوير في العالم العربي في حين يراه آخرون رائداً من رواد التغريب في العالم العربي. كما يعتقد البعض أن الغرب هو من خلع عليه لقب عميد الأدب العربي.

## • جامعة الأزهر وموهبة طه حسين العلمية :

بدأت رحلة طه حسين الكبرى عندما غادر القاهرة متوجهاً إلى الأزهر طلباً للعلم عام 1902، وهو في قرابة الرابعة عشر من عمره، و بقي به حتى 1908 تاريخ تأسيس الجامعة المصرية التي سارع طه حسين للالتحاق بها للدراسة الدينية والاستزادة من العلوم العربية، فحصل فيه ما تيسر من الثقافة، ونال شهادته التي تخوله التخصص في الجامعة، لكنه ضاق ذرعاً فيها، فكانت الأعوام الأربعة التي قضاها فيها، وهذا ما ذكره هو نفسه،

(1) أنور وجدي، طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، دار أبو السلامة للطباعة والنشر والتوزيع،

قضايا ومواقف دار المعارف تونس، 2000 م ص 61.

وكانها أربعون عاماً وذلك بالنظر إلى رتبة الدراسة، وعقم المنهج، وعدم تطور الأساتذة والشيوخ وطرق وأساليب التدريس.<sup>(1)</sup>

بدأ في نفس السنة تعلم الفرنسية قبل الذهاب إلى فرنسا ، ويحكي عن أول عهده بدرس اللغة الفرنسية في أيامه في المدرسة المسائية التي أنشئت في مكان قريب من الأزهر لمن يريد أن يدرس اللغة الفرنسية، ... التي خطأ فيها خطوات بعيدة بفضل رفيقه (محمود سليمان) الذي كان يعينه على الفهم، وقد تقدم تقدماً حسناً وهو قادر على أن يحسنها إن مضت أموره على ما يجب عندما بدأ يلتحق بالجامعة الأهلية عند افتتاحها في أول نشأتها و كانت تضم عدداً من المستشرقين الفرنسيين والإيطاليين (كجويدي)، و (ليتمان ونالينو)، (Littmann et Nallino) وبذلك عرف بيئة المستشرقين الذين وجدوا فيه شاباً طموحاً ناقماً على الأزهر فعملوا على إشباع نفسه بالأمال في بيئة الغرب وغرس الكراهية لبيئة الأزهر ثم الإسلام نفسه وبذلك بدأت ملامح شخصية طه حسين المتمردة في الظهور، حيث بدأ يتبرم من محاضرات معظم شيوخ الأزهر الاتباعيين، فاقصر على حضور بعضها فقط، ومن ثم لم يقتصر اهتمامه على تعليم الأزهر فحسب ، بل اتجه إلى الموروث الأدبي فحفظ مقامات الحريري ومقامات بديع الزمان الهمذاني، واتفق هو والشيخ (علي المرصفي) في بغضهما لشيوخ الأزهر، كوّن هو وصاحباها (أحمد حسن الزيات) و(محمود الزناتي) جماعة ذاع نقدها للأزهر وفضلوا الكتب القديمة على الكتب الأزهرية، وتلمذ حينها على يد الإمام (محمد عبده) الذي علمه التمرد على طرائق الاتباعيين من مشايخ الأزهر، إلى أن انتهى به الحال إلى وداع الأزهر، ليبدأ مرحلة أخرى من حياته، فقد تم طرده من الأزهر بسبب كثرة انتقاداته، ولم يعد إليها إلا بواسطة من أحد كبار الشيوخ.<sup>(2)</sup>

(1) المجموعة الكاملة الأيام، لطه حسين، المجلد الأول، دار الكتاب، لبنان، 1995م، ص 7

(2) المرجع نفسه ، أنور وجدي، طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، ص 28

لما فتحت الجامعة المصرية أبوابها، ترك طه حسين الأزهر والتحق بها وسمع دروس (أحمد زكي باشا) في الحضارة الإسلامية، وتلقى طه حسين أول درس له من دروس الجامعة على يده، فكان دخوله للجامعة المصرية بداية مرحلة جديدة في تلقي العلوم وتثقيف النفس، وتوضيح الرؤية وتحديد الهدف. انتهى طه حسين من إعداد رسالته للحصول على درجة الدكتوراه وكانت عن (أبي العلاء المعري)، ونوقشت الرسالة في الخامس عشر من شهر ماي 1914 ليحصل بها على درجة الدكتوراه، وكانت أول دكتوراه تمنحها الجامعة المصرية لأحد طلابها.

وقبل أن تهدأ ضجة كتاب " في الشعر الجاهلي " بشكل نهائي، انفجرت الضجة الثانية بتعيينه عميداً لكلية الآداب، الأمر الذي أثار أزمة سياسية أخرى انتهت بالاتفاق مع طه حسين على الاستقالة، ثم عاد بعد ذلك القاهرة عام 1916 نظراً لظروف الحرب قصور الجامعة من الناحية المالية وأقام فترة قصيرة ثم عاود دراسته بعد ذلك في جامعة السوربون وحصل على شهادة الليسانس 1917 وتزوج في نهاية العام من رفيقته سوزان التي كانت في إعداد رسالته التي اشرف عليها كل من (دوركاييم Durkheim) المتخصص في علم الاجتماع ثم اكمل الاشراف عليه (سليستيان بوجليه Celestian Bugley) بعد وفاه (دوركاييم Durkheim) وكانت رسالته تبحث عن الفلسفة ابن خلدون الاجتماعية، وقد انهى كتابة رسالته عام 1918 م ورزق في العام نفسه بابنة (أمينة) التي كان يدعوها بـ (مارجريت Margaret) وعاد بعد ذلك الى القاهرة في عام 1919م، وعاد الى وطنه مستغرباً محاولاً تطبيق منهج وأساليب الغرب (1)

(1) طه حسين، الأيام، دار المعارف بمصر ط3، ج3، 1992 م، ص 44

## 2. ثقافة طه حسين :

ينبغي الحديث عن حياة طه حسين في مثال أهمية الحديث عن كل حياته ذلك أن فكره لم يكن مجرد ردود فعل سطحية لمدة الحياة بل كان صورة شاملة لثقافته الواسعة وشخصيته القوية ومواقفه الفكرية فكل ما كتب كان دلالة على جانب من جوانب هذا الفكر الذي يبدو مبدأ الوحدة في التنوع واضح فيه ، ترجع مصادر ثقافة طه حسين الى تيارات ثلاثة : (1)

**أولها:** الفكر الإسلامي قد سمي هذا المصدر الأدب العربي القديم والعلوم الأزهرية.

**ثانيها:** هو الفكر العربي ممثلاً بالفكر اليوناني واللاتيني من جهة و الفكر الفرنسي من جهة ثانية.

**ثالثها:** معاناته الخاصة مع الحياة حيث صبغت شخصيته كل فكره بصبغة خاصة ولعله لم يجد أسلوباً فيه شيء من الحداثة غير أسلوب المصرفي أما الجامعة المصرية فقد قدمت له المنهج الجديد في التعامل مع التراث والثقافة، كما أن دراسته في فرنسا كانت ضرورية له حيث منحته البعد المقابل للثقافة الشرقية وغاص في أعماق الحضارة القديمة، واحتسب أفضل المناهج كما تأثر فكره بمصر وتأثر بحربين عالميتين وبثورة 1919م خاصة .

عاش طه حسن كل هذه الأحداث وكان في فكره صدى لآلم وطنه وانعكاساً حقيقياً لتطلعاته (2)

وفكر طه حسين فكر طليعي جمع بين الأصالة والمعاصرة وهو فكر فيه روح الخصام والمعركة يميزه أن شخصية مؤلفه وأسلوبه يبرزان بشكل واضح كمدرسة في الفكر والمعاناة والدعوة الى الحرية من جهة، والأصالة من جهة ثانية وان كانت بدايات ذلك ذات سمات عقلية رفيعة دون إلتماس مباشرة بالشعب العادي، وفي مؤلفات طه حسين نزعة توفيقية بين القديم والجديد والعلوم والفن، ومنهجه في مقدمته لكتاب في الادب الجاهلي وان كان قد اثار خلافاً في حينه فهو منهج ضروري في البحث والدراسة.

(1) فخرية خوج ، دراسة تحليلية للآراء طه حسين، سنة 1997 م، ص 44

(2) طه حسين ، فصول في الأدب والنقد، 2013م ، ص 84

طه حسين مفكر حر ملتزم ساعده على الالتزام هذه المواقف ثقافته الواسعة ونزعه التحليلية العقلية وصدقه في التعامل مع الفكر فهو لم يكن تابعا، بل كان ينتمي لمصر والفكر العربي الاسلامي قديمه وحديثه.

### • مؤلفات طه حسين :

ترك طه حسين حين غادر هذه الحياة أكثر من ثلاثمائة وثمانين كتاباً من الكتب القيمة، في الأدب والنقد والعديد من الأعمال الإبداعية، وقد تميزت بلون خاص في التأليف والطرح، ومعالجة ما يدور في واقعه الشخصي خاصة والواقع الاجتماعي الذي كان يعيشه بصورة عامة، وقد يساعد هذا الأمر على تهيئة فرصة للباحثين والنقاد في تأمل آرائه المختلفة، ومنهجه، ومن ثم الكشف عن سيرته الذاتية، ورصد آرائه النقدية والأدبية الفكرية والفلسفية في مختلف القضايا التي عاصرها، ومن هذه المؤلفات: الأيام، الوعد الحق، المعذبون في الأرض، في الشعر الجاهلي، كلمات، نقد وإصلاح، من الأدب التمثيلي اليوناني، طه حسين والمغرب العربي، دعاء الكروان، حديث الأربعاء، صوت أبي العلاء، من بعيد، على هامش السيرة، في الصيف، ذكرى أبي العلاء، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، الديمقراطية في الإسلام، في الأدب الجاهلي، يبدو أن حدة الهجوم عليه دفعته إلى استبطان حياة الصبا القاسية، ووضعها موضع المساءلة، ليستمد من معجزته الخاصة التي قاوم بها العمى والجهل في الماضي القدرة على مواجهة عواصف الحاضر.<sup>(1)</sup>

وقد نشر طه حسين الجزء الأول من " الأيام " في مقالات متتالية في مجلة الهلال عام 1926، وهو يعد من نتاج نفس المرحلة التي كتب خلالها " في الشعر الجاهلي " وتميزت هذه الفترة من حياة الأديب بسخطه الواضح على تقاليد مجتمعه وعادات أبناء وطنه، فكان إنتاج " الأيام " سيرة ذاتية تعبر عن سخط كاتبها بواقعه الاجتماعي، خاصة بعد أن عرف الحياة في مجتمع غربي متطور، بينما كان انتماء طه حسين للريف المصري، وكان لمروبه بحياة قاسية في وسط تسوده الخرافة والأساطير والتقاليد التي كانت سببا في فقدته بصره، بالإضافة إلى سلطة المؤسسات التقليدية المتمثلة في الكتاب والأزهر، كل هذه

(1) أنور وجدي ، طه حسين حياته وفكره في ميزان الاسلام، دار أبو السلامة للطباعة و النشر و

العوامل ولدت في نفسه شعورا بالمرارة، وإحساسا عميقا بالتخلف، وإصرارًا أكبر على الدعوة إلى التجديد (1)

يمكن ان نلاحظ في مؤلفات طه حسين على كثرتها نقاط استقطاب ولعل ابرزها :

**أولاً: العصر الجاهلي :** وفيه دارت معركته الأولى كما درس شعراء هذا العصر في الجزأين الأول والثاني من كتاب "حديث الأربعاء" وإذا نظرنا الى الفترة التي قدم هذه الدراسات برزت لنا أهميتها لأنها أحدث هزة عميقة في المسلمات الرئيسة عند دراسي تلك الفترة.

**ثانياً: الإسلاميات :** قدم طه حسين دراسات بارزة عن الاسلام ولكن بأسلوب جديد ففي "على هامش السيرة" والوعد الحق" جمع بين الأسطورة والتاريخ كما فعل رينان في كتابه عن السيد المسيح أما في "مرآة الإسلام" و"الشيخان" و"الفتنة الكبرى" فقد اقترب من المؤرخ أقدم تاريخ لمؤلفاته الإسلامية هو سنة 1933 وأخر هذه المؤلفات هو "الشيخان" سنة 1960 م (2)

**ثالثاً: العصر العباسي :** ونذكر هنا أنه لم يهتم العصر الأموي غير أن اهتمامه بالعصر العباسي كان أمثر فإذا كان قد كتب في حديث الأربعاء فصولاً عن الأدب في عصر بني أمية فإنه اهتم في العصر العباسي بعمالقة الأدب فيه، فقد درس **المتنبي** في كتابه المعروف، ودرس **المعري** في أكثر من كتاب، درس **البحثري** وأبا تمام وغيرهم في كتابه "من حديث الشعر والنثر".

**رابعاً : الترجمة والثقافة العربية :** وتأخذ حيزاً واضحاً في كتبه ومقالاته فقد ترجم رواية "الواجب" (لجلول سيمون) سنة 1920م ودرس عن الفرنسية أيضاً "قصص تمثيلية" و "اندروماك" و "لحظات" و "صوت باريس" و "زاديج" و "من أدب التمثيل الغربي" كما قدم في بحوثه ومقالاته ترجمات شخصية لعدد كبير من الكتاب والمفكرين وقد ظهرت هذه الترجمات في كتب فيما بعد وترجم عن اليونانية "نظام الاثينيين" كما ألف في الفكر اليوناني

(1) أنور وجدي، طه حسين حياته وفكره في ميزان الاسلام، دار أبو السلامة للطباعة و النشر و

التوزيع، قضايا و مواقف دار المعارف تونس، 2000م، ص 22

(2) علي شلش، بعنوان " في ذكرى طه حسين "، العدد 164، نوفمبر 1974 م، ص 63

حيث كتب عن "قادة الفكر" و"الهة اليونان" ، ويمكن أن نعتبر مؤلفاته والفرنسيين ضمن هذا التيار كما قدم ذلك للدراسات أخرى عن الأدب الغربي وكتب عدد كبيراً من المقدمات كما ترجم العديد من الكتب "ألوان" و"فصول في الأدب" و"النقد" و"رحلته في الصيف" و"رحلة الربيع" تقع ضمن هذا الاهتمام بالثقافات الأجنبية<sup>(1)</sup>.

**خامساً: في التربية والاجتماع** : أبرز ما له في علم الاجتماع رسالته عن "فلسفة ابن خلدون الاجتماعية" التي قدمها الى جامعة السورية ثم ترجمة كتاب "روح التربية" (لغوستاف لوبون **Gustave Le Bon**) ثم كتابه المشهور "مستقبل الثقافة في مصر".

**سادساً: في الأدب الحديث** : قدم طه حسين في هذا الباب مساهمتين رئيسيتين : الأولى في دراسته ومقالاته ومعاركه النقدية ولعل أبرز ملامح هذه المساهمة نجدها في كتبه "حافظ وشوقي"، "فصول الأدب" و"النقد" "نقد واصلاح" و"خصام ونقد" "بين بين" ، و"كلمات" و"أحاديث"، و"من أدبنا المعاصر" و"حديث الأربعاء"<sup>(2)</sup>

والجانب الثاني من مساهمته في الأدب الحديث هو موضوع دراستنا، أي ما قدمه في باب الرواية والقصة من حيث آراءه النظرية ومؤلفاته وبحوثه حيث يندرج في هذا الباب "أديب" و"الأيام" و"دعاء الكروان" و"علام شهرزاد" و"الحب الضائع" و"على هامش السيرة" و"الوعد الحق" و"المعذبون في الأرض" و"القصر المسحور" الذي ألفه بالاشتراك مع توفيق الحكيم .

كان طه حسين مساهماً في كل التحولات الضخمة التي حدثت في مصر خاصة في الصحافة والجامعات، فقد كان في كل المناصب التي تولاها يسعى إلى تنفيذ برنامجه الفكري، وفي مثال ذلك أن تولى وزارة المعارف حيث سعى إلى تطبيق ما طرحه حول التعليم في مصر، وقد كان يرى أن المصريون يحتاجون مثل : (روسو **Rousseau**)، و(فولتير **Voltaire**)، و(ديكارت **Descartes**)، ونحن إذا نقر بأنه فعل ذلك، فإننا ننظر

(1) نفس المرجع ، علي شلش، بعنوان " في ذكرى طه حسين "، ص 66- 68

(2) خالد الكركي، طه حسين روائياً، دار الجبل بيروت، لبنان مكتبة الرايز العلمية، عمان- الأردن،

بإعجاب الى الطريقة التي استفاد بها من الغرب، وهي الطريقة التي منحتها المنهج ليدرس التراث العرب وفكرهم .<sup>(1)</sup>

ومن هذه الآثار كلها يستطيع الباحث أن يفهم طه حسين منذ أن كتب عن (المعري) و(ابن خلدون) والأرستقراطية الى أن غاص في جوانب حياة (المتنبي) وشعره وحتى تعمق في بؤس شعب مصر وعذاب المنتظرين وعد الله الحق .

### 3. أبرز أعماله :

مارس طه حسين أثناء حياته الكثير من الأعمال كان من أبرزها ما يلي :

#### أ- التدريس:

تولى طه حسين تدريس مادة التاريخ القديم اليوناني والروماني وذلك بعد أن عاد من فرنسا وبعد حصوله على شهادة الدكتوراه في جامعة الأهلية القديمة بعد أن أصبحت حكومية عام 1952م ، وقد فرض طه حسين أراءه بقوة سلطانه في الجامعة وفي وزارة المعارف فقد كانت له جماعة تحوطه وتوزع عليه أنشطتها على أوجه المختلفة لتؤثر فيها، وفي عام 1919 م قدم طه حسين الى الجمهور في قاعة المحاضرات بالجامعة المصرية فقال في إحدى محاضراته : "إنه هزم على إحياء التراث اليوناني لأنه يؤمن إيماناً جازماً بأن مرجع الفكر في الشرق والغرب هو إلى القدماء من مفكري اليونان" وخلال هذه الفترة قام بنشر كتابه " في الشعر الجاهلي" عام 1926م الذي أحدث ضجة كبيرة لما يحتويه من أفكار مناهضة للإسلام أثارت حمية الغيورين على الدين<sup>(2)</sup>

(1) نفس المرجع ، خالد الكركي، طه حسين، ص 43

(2) أنور وجدي، طه حسين حياته وفكره في ميزان الاسلام، دار أبو السلامة للطباعة و النشر و

التوزيع، قضايا و مواقف دار المعارف تونس، 2000م، ص 57-58

## ب- الصحافة:

بدأ طه حسين الكتابة في الصحف منذ وقت مبكر، كانت بدايته عندما كان يدرس في الأزهر حيث يكتب مقاله الذي هاجم في الأزهر مشايخه، وطالب بحرية الرأي مقدما ذلك في المقال إلى لطفي السيد مدير صحيفة "الجريدة" الذي قبله بكل عطف وأمره بالانصراف. كما كتب في جردتي "اللواء" و"العلم" عدة مقالات بعنوان النظرات، نظرات في النظرات ينتقد فيها النظرات للمنفلوطي، أيضا كتب في صحيفة "الشعب"، وكذلك كل هذه الكتابات قبل سفره الى فرنسا، وبإشراف من عبد العزيز جاويش، وعندما عاد من فرنسا كتب في صحيفة "الجهاد" عدة مقالات عنونها "حديث الأربعاء" ثم جمعها فيما بعد في كتاب ضخم من مؤلفاته، وبعد ذلك أصبح رئيسا ل تحرير صحيفة "الاتحاد"، كما كتب عدة مقالات في صحيفة "البلاغ" جمعت فيما بعد في كتاب "بين بين"، ومن الموضوعات التي كتب فيها: التعليم ومشكلات المدرسين والجامعة، وكذلك استمر في كتاباته في مهاجمته للأزهر وشيوخه ومناهج تعليمه، وكتب أيضا ما يتعلق باللغة ما أسماه إصلاح النحو مشكلة الإعراب كما دعا الى تعليم اللغات الأجنبية والتبادل الثقافي، وتباع القومية والديمقراطية والعروبة وإحياء التراث العربي.

وتميزت كتاباته بسرعة الذبوع والانتشار نظرا لجرأته حيث قام بطرح قضايا خطيرة لم يجرؤ أحد قبله على التصدي لها.

## ج- التأليف:

خلف طه حسين العديد من المؤلفات في العديد من الجوانب، حيث تزيد مؤلفاته على الخمسين مؤلفا فكتب في الأدب والتاريخ والتربية والاجتماع والنقد والإسلاميات والقصص والروايات العربية والغربية ... كما قام بترجمة العديد من مؤلفات الغربية الى العربية، ومن بدايات كتاباته رسالته "نكري أبي العلاء" التي نال بها درجة الدكتوراه عام 1914م، ورسالته عن "ابن خلدون" التي نال بها درجة الدكتوراه من جامعة السوربون عام 1917م بالفرنسية. (1)

(1) طه حسين، الايام، 1992 م، ص 418

## د- وفاته :

توفي طه حسين في 1973/10/28 ضعفت صحة طه حسين في اواخر حياته ونتيجة لذلك فقد قل انتاجه المادي واصيب بنوبة مرضية نقل على اثرها الى المستشفى حيث حانت وفاته بعد أيام قلائل وكان له من العمر ثلاثة وثمانون عام، وقد عمل له ماتم كبير في الجامعة المصرية رحل تاركا تاريخا وراءه وكما هائلا من الكتب والمؤلفات إضافة الى بعض الروايات القصصية يقول الدكتور (محمد المصايف) مشيدا بأعماله وما تركه من أعمال وأثار ممثلة خير التمثيل يقول : أجل لقد توفي طه حسين الى رحمة الله تعالى، ولكن أفكاره وأثاره ستظل مصدر إشعاع وستبقى مواقفه خير أسوة لكل أديب ملتزم يأبى أن يستعمل قلمه في خدمة غير الحق، والفن الصحيح ، وبهذا ستعجز أستاره أن تحجبه عن الأزمان<sup>(1)</sup>

(1) مجلة المخبر، ابحاث في اللغة العربية والأدب الجزائري، جامعة بسكرة ، الجزائر، 2016م ص

## 1. آراء طه حسين وأفكار مرجليوث Margoliouth في رواية الشعر الجاهلي.

ذهب (مرجليوث Margoliouth) إلى القول بأن ما يسمى الشعر الجاهلي من وضع الرواة في المائة الأولى من التاريخ الهجري، لأسباب سياسية واجتماعية ودينية وكان بذلك الفرض أن محى تراثا أدبيا ضخما عن حقبة تاريخية من حياة العرب الجاهلية، إذ أن فكرة وضع الشعر الجاهلي في العصر الإسلامي لدواعي دينية تستجيب لأهداف (مرجليوث Margoliouth) <sup>(1)</sup> الذي كان يقصد من ورائها تأكيد بشرية القرآن الكريم، إذ كان يقصد بأن الذين وضعوا الشعر الجاهلي كانوا يقصدون إضعاف بنيته اللفظية والمعنوية، حتى يستقيم للمسلمين منهج المقارنة اللفظية لإثبات أن القرآن يسمو على كلام البشر أثرت مشابهة الرأيين في التجريح في أمانة طه حسين العلمية، لدرجة اتهامه بنقل آراء (مرجليوث Margoliouth) في كتابه " في الشعر الجاهلي" وكتاب " أصول الشعر العربي القديم" لأنه استفاد منه، ويمكن تقديم بعض الملاحظات على الباحثين :

(مرجليوث Margoliouth) نشر بحثه سنة 1925 ، ونشر طه حسين كتابه سنة 1926 دون شك أن طه حسين كان قد أذاع هذه الآراء بتدريسه مدة طويلة للطلاب.

انطلق كل من طه حسين و(مرجليوث Margoliouth) من منهج بعينه لدراسة الشعر وتقويمه هو أن الشاعر ثمرة البيئة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وهو منهج يرى في الأديب بأنه مرآة تتعكس عليها تلك الحياة، وقد طبق كل واحد منهما هذا المنهج بصرامة في دراستهما لمشكلة الشك في الشعر الجاهلي، ومن الطبيعي أن يبحثا عن صورة الحياة في هذه المرأة، وهذا ما يعلل قصور الذي بين أيدينا على تصوير الحياة الدينية والاقتصادية، وقصور لغته في تمثيل لغة القبائل المختلفة في لهجاتها.<sup>(2)</sup>

(1) رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، الخانجي بالقاهرة، ط6 ، سنة 1999م، ص 111

(2) يحيى ولي فاتح حيدر، مرجيلوث واستغرابيه طه حسين، مجلة الآداب، العدد 157، 2013م، ص

أن آراء طه حسين لا تفهم من خلال كتاب واحد فقط، بل تفهم من كتبه ومقالاته التي نشرها ثم جمعها في كتاب "حديث الأربعاء"، ففي هذه المقالات يصبح طه حسين داعية لهذا الشعر يشرحه ويفسر معانيه ويكشف عن قيمه الفنية وكأنه لم ينكر الوجود الفعلي للشعراء، وهذا يدل على أنه كان يريد دفع الدارسين إلى تطوير مناهجهم في دراسة الأدب كما فعل الأوروبيون مع الآداب القديمة اليونانية والرومانية.

والغريب أن الذين عارضوا نظرية طه حسين ورفضوها، هم الذين استجابوا فيما بعد لدعوته في تحقيق النصوص القديمة وتصحيحها وإعدادها للدراسة الفنية.<sup>(1)</sup>

## 2. طه حسين و فكر الاستشراق :

يعد التحدث عن منهج طه حسين في كتابه " في الشعر الجاهلي " حديث بالدرجة الأولى عن مدى تأثره بمنهج التاريخي الذي عرف ازدهار على يد مجموعة من الدراسيين الفرنسيين خاصة (يوغسلاف لانسون Yougeslaf Lainson) التي تدعو الى الاقتداء بالمناهج العلمية مهما كان مصدرها.

ولكن الأمر الذي يدعو الى التأمل هو عدم التصريح "طه حسين" انه تأثر بالمنهج التاريخي حيث يصرح بأنه اتبع منهج الديكارتى بقوله: " لست أريد أن أقول البحث، وإنما أقول الشك، أريد أن لا تقبل شيئاً مما قال القدماء في الادب وتاريخه، إلا بعد بحث وتثبيت إن لم ينتهيا الى اليقين فقد ينتهيان إلى الرجحان".

يحاول طه حسين ايهام القارئ أنه يتبع المنهج العلمي في قراءة الشعر الجاهلي معتمدا على الشك الديكارتى، لهذا نجده يسعى في محطات كتابه الى التشكيك في صحة هذا الشعر والطعن في نسبته إلى الجاهلية<sup>(2)</sup>، وقد كانت حجته في هذا الشك أن الشك هو السبيل الأنجح في الدراسة العلمية الصحيحة وجديدة فهو يرى أن الباحث يتجرد من كل شيء كان يعلمه من قبل، وأن يتقبل الموضوع بحثه الخالي الذهن مما قيل فيه خلوا تاما.

(1) يحي ولي فاتح حيدر، مرجيلوث واستغرابيه طه حسين، مجلة الآداب، العدد 157، 2013م، ص

(2) دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، عبد الرحمان بدوي، دار العلم للملايين، بيروت،

كما يذهب طه حسين الى الموارنة بين مذهب القدماء ومذهب أنصار الجديد الذين يحملهم مهمة أصعب من سابقهم فليس الطريق مهياً أمامهم كي يصلوا إلى الحقيقة، إن من يطلق عليهم طه حسين أنصار الجديد والذين يصفهم بدعاة المنهج العلمي المهني بالدرجة الأولى على الشك الديكارتى، هم أقرب المستشرقين منه إلى دعاة المنهج الديكارتى.<sup>(1)</sup>

يرى معظم النقاد و الدارسين العرب الذين اشتغلوا على طه حسين أنه تأثر بالفكر الإستشراقي سواء التأثير المباشر من خلال أساتذته الذين درس عندهم في الجامعة المصرية أو الذين درس عندهم في فرنسا أو من خلال قراءته لأعمال المستشرقين، غير أن أبرز الذين تأثر بهم على الإطلاق في طرحه النقدي محل الدراسة كما يرى (ناصر الدين الأسد) المستشرق الإنجليزي (مرجليوث Margoliouth) حيث يقول: "وقد استقى الدكتور طه حسين أكثر مادته حيث يستشهد ويمثل بالأخبار والروايات من العرب القدماء" وسلك في سبيل (مرجليوث Margoliouth) في الاستنباط والاستنتاج و التوسيع في دلالات الروايات و الاخبار، وجاء الدكتور طه حسين فلم يقنع كما قنع (مرجليوث Margoliouth)، بان يدلنا عليها في مقالة أو مقالتين، إنما فصل لنا القول فيها في كتاب كامل قائم بذاته. وما بعده متشابهها بين طه حسين و (مرجليوث Margoliouth) هو حديثهما عن اثر الدين وخاصة القرار في صياغة الشعر الجاهلي .<sup>(2)</sup>

<sup>(1)</sup> عبد الرحمان بدوي، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، دار العلم للملايين، بيروت،

1979 م، ص 58

<sup>(2)</sup> اسماعيل أحمد عمارة، بحوث في الإستشراق، ط1، عمان دار وائل للطباعة و النشر و التوزيع،

سنة 2003 م، ص 543

## 3. لمحة عن الكتاب:

## أ- ظروف نشأة كتاب في الشعر الجاهلي:

لقد صدر كتاب طه حسين "في الشعر الجاهلي" عام 1926م، أين أثار ردود أفعال عنيفة لدرجة أن صدر الكتاب من المكتبات، ووقف صاحبه أمام القضاء بدعوى أنه أساء إلى الدين الإسلامي وضرب عرض الحائط الموروث الشعري العربي الذي كانت تحيطه هالة التقديس آنذاك.

كان كتاب طه حسين المشهور في الادب الجاهلي عبارة عن محاضرات يلقيها على الطلبة في الجامعة حول الأدب الجاهلي، فهو لما توغل في دراسة التاريخ العربي وتعمق فيه البحث والتثبت شك في قيمة هذا الادب خاصة الشعراء وأراد بناء علمي جديد.<sup>(1)</sup>

ونتيجة لغرابة ما فيه من أفكار، ردت عليه الكثير من الكتب نوقش في البرلمان، وامام القضاء وداخل الجامعة ولم تنته تلك الضجة حتى حذقت منه الجمل والصفحات المعترض عليها، وأضيفت صفحات جديدة وغير عنوانه من " في الشعر جاهلي" إلى " في الأدب الجاهلي" والذي نشر في العام التالي 1927م ولقد طرحت على الدكتور طه حسين تساؤلات حول التغيير الذي اجراه على الكتاب، سأله (محمود عرض): لماذا حذفت فصلا من الكتاب عندما أعدت طبعة بعد الأزمة؟ فأجابته: لأنني لا أريد تجدد الأزمة. عاوده السؤال: قبل ان تصدر الكتاب هل كنت تتنبأ انه سيؤدي الى كل هذه الازمة؟ فرد عليه: لا هذه تصريحات "طه حسين" بنفسه حول التغيير الذي أجراه فيما بعد.<sup>(2)</sup>

<sup>(1)</sup> سامح كريم ، ماذا يبقى من طه حسين، دار العلوم ، بيروت -لبنان ، سنة 1974م ، ص 115- 117

<sup>(2)</sup> نفس المرجع، عبد الرحمان بدوي، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، ص 130-

## ب- موضوعاته:

قسم طه حسين كتابه الى سبعة أقسام، كل قسم تعرض فيه الى جملة من الآراء ;

**القسم الأول:** تعلق بالأدب والتاريخ، تعرض فيه إلى حال تدريس الادب في مصر الى الصلة بين الأدب وتاريخه، والى مفهوم الأدب الانشائي والادب الوصفي والى مقياس التاريخ الادبي والثقافة ودرس الأدب والحرية.

**القسم الثاني:** كان حول الجاهليين ولغتهم وأدبهم حيث بين فيه منهج البحث ومرآة الحياة الجاهلية والشعر الجاهلي واللهجات.

**القسم الثالث:** تعرض فيه لسباب انتحال الشعر الجاهلي.

**القسم الرابع:** دراسة الشعر والعصر الجاهلي.

**القسم الخامس:** قبيلة " مضر " والشعر الجاهلي.

**القسم السادس:** عرف طه حسين الشعر العربي، وموقف المعاصرين منه أنواعه وفنونه.

**القسم السابع:** درس الكاتب النثر الجاهل<sup>(1)</sup>.

(1) طه حسين ، في الأدب الجاهلي، دار المعارف مصر، ط11، 1927م

## 4. من كتاب في الشعر الجاهلي إلى كتاب في الأدب الجاهلي:

وضع طه حسين محاضرات دروسه في كتاب بعنوان "في الشعر الجاهلي"، وما كاد هذا الكتاب يستقر في أيدي القراء حتى صودر ومنع من التداول من قبل البرلمان بإيعاز من الأزهر لأسباب دينية وذلك سنة 1926 م، ومنع طه حسين من التدريس في الجامعة، وبعد محاكمة حول الموضوع أعيد له الاعتبار وطبع الكتاب بعد التعديل بعنوان جديد هو "في الأدب الجاهلي"<sup>1</sup>.

ورغم ذلك لم يسلم الكتاب في طبعته الجديدة من النقد من قبل المهتمين والمشتغلين بالأدب. تمحور النقد حول الأفكار الجديدة التي جاء بها طه حسين، وكذا المنهج الذي سلكه في قراءة التراث الشعري.

ويمكن أن نلاحظ عند تصفحنا للكتاب في طبعته "في الشعر الجاهلي" و "في الأدب الجاهلي" أن الطبعة الجديدة لم تحمل سوى تنقيحات طفيفة وقليلة، لا تغير في المضمون حتى أنه لم يحذف الفقرة التالي: ونوع آخر من تأثيرات الدين في انتحال الشعر وإضافته إلى الجاهليين، وهو ما يتصل بتعظيم شأن النبي من ناحية أسرته في قريش إلى قوله:....: وأخذ القصاص يجتهدون في تثبيت هذا النوع من التصفية والتنقية وما يتصل منه بأسرة النبي خاصة، فيضيفون إلى عبد الله وعبد المطلب وهاشم من الأخبار ما يرفع شأنهم ويعلي مكانتهم ويثبت تفوقهم على قومهم خاصة وعلى العرب عامة.<sup>2</sup>

أما عن المنهج الذي اتبعه طه حسين فدارت حوله معارك طويلة أسالت الحبر الكثير منذ النصف الثاني من عشرينيات القرن الماضي، إذ يملك إلى جانب المنهج النقدي الديكارتية، الشجاعة في مواجهة مجتمع مستغرق في ثقافته التراثية<sup>(3)</sup>، ونصوص ليس من السهل إحالتها على الشك والنقد، على اعتبار أنها دخلت في تراكمات معرفية شبه مقدسة عند المحافظين الذين يرون أن الشعر ديوان العرب ويثورون لكل عميلة من شأنها الاقتراب أو هدم هذا

<sup>1</sup> ينظر طه حسين، في الأدب الجاهلي، دار المعارف مصر، ط11، 1927م

<sup>2</sup> ينظر عبد المنعم تليمة، في الشعر الجاهلي الكتاب والقضية، رؤية للنشر والتوزيع القاهرة، ط1،

2007م

<sup>(3)</sup> طه حسين، ديكارت في من بعيد، المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين، المجلد 12، بيروت،

1974م، ص 211-212

المعمار الفني، وسينتهي هذا البحث إلى نتيجة غريبة، وهي أنه لا ينبغي تفسير القرآن وتأويل الحديث اعتماداً على هذا الشعر، وإنما العكس ينبغي أن نستشهد بالقرآن والحديث على تفسير هذا الشعر وتأويله وإذا كان هذا المنهج الفني الذي استحدثه ديكرت للبحث عن حقائق الأشياء في أول هذا العصر الحديث قد أثار فضول المشتغلين بالمعرفة والبحث العلمي<sup>(1)</sup>.

فإن طه حسين وجد فيه الوسيلة لسبر أغوار الشعر العربي الذي كانت تدور حوله الكثير من أحاديث النحل، أريد أن أقول إني سأسلك في هذا النحو من البحث مسلك المحدثين من أصحاب العلم والفلسفة فيما يتناولون من العلم والفلسفة، أريد أن أصطنع في الأدب هذا المنهج الفلسفي الذي استحدثه ديكرت للبحث عن حقائق الأشياء، وأمام غايات وأهداف خاض فيها النقاد تراوحت مواقفهم بين أدبية وغير أدبية، حين تصدوا لنقد كتاب " في الأدب الجاهلي " أحدثوا جدلاً مازال قائماً إلى اليوم وأصبحت شخصية صاحبه ما تكاد توضع في هذا الميزان حتى توضع في آخر، فحالت عليه الانتقادات من كل حذب وصوب لما أبداه من شجاعة وما أظهره من تميز في البحث.

لقد وصفه (الخضر حسين) بأنه طعن في التراث الشعري وقد " شق للقراء عن صدره أراهم ما فيه من نية الخروج عن الآداب والطعن في الإسلام، كما أن صراحتة التي تفرّد بها جعلته يجنح في كثير من المواضيع إلى استعمال الجمل التاريخية أو الأدبية في قضاء مآرب الدعاية ونشر فيها روح التنكر الحق على حد قول (الخضر حسين) دائماً.

ولو علم الناس أن منهج الشك الديكرتي يمنح الباحث القدرة على تجاوز المسلمات المضمون بها، ويجعل الباحث يتجرد من كل معلوماته السابقة، وأن يستقبل موضوع بحثه خالي الذهن مما قيل فيه من قبل لعذروا طه حسين فيما ذهب إليه، ومن أين لهم ذلك والمنهج المستعمل غريب الحال والدار.<sup>(2)</sup>

(1) طه حسين، ديكرت في من بعيد، المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين، المجلد 12، بيروت،

1974م، ص 211-212

(2) طه حسين، في الادب الجاهلي، سنة 1927 م، ص 68

### • المناصرون للكتاب ومنهجه :

في المعسكر النقدي المنفتح على المناهج الجديدة الذي يسعى إلى تجاوز الرتابة في الطرح وتقويم المضمون، نجد أكثر من صوت فكري يرفع درجة الاحتدام النقدي، حتى وإن خدعتنا بعض اللبوس الأيديولوجية، في نفس هذا الاتجاه وتصويبا للجدل الدائر حول صلاحية المنهج الديكارتي من عدمه لتقصي قضايا الأدب العربي، سواء تعلق الأمر بقضية النحل أو الرواية أو غيرهما، فإنه يثبت مدى حاجة الناقد العربي لهذا المنهج على خلاف من سبق أن استعرضنا مواقفهم، حيث يقول (الخضر حسين) : للمؤلف وغير المؤلف أن يقول خطأ (الأصمعي) ، ولم يوفق (أبو عبيدة) وظل (الكسائي)، وله أن يضع علم المتقدمين كله موضع البحث أو الشك، على شرط أن يتحرى في بحثه أو شكه أدبا يشهد بأنه ينشد حقيقة ويسعى وراء علم، ويشرح (محمد أحمد الغمراوي) في مسعاه النقدي مبررات التعامل بالمقياس النقدي الديكارتي القائم على الشك، ويشير إلى دواعي توظيف المؤلف لهذا المنهج ويعرج على رؤية الكاتب حول ما يتعلق بما جاء به المتقدمون الذي دخل في حكم الثابت المسلم به والذي يتره أصحابه عن الخطأ والسهو والنسيان والكذب، ومادام المؤلف يرى ضرورة الالتفات إلى هذه الآراء التي تألّفت في أفهام الناس رغم ما فيها من احتمالات الخطأ إذا ما دقق الناقد المستنير الرؤية. (1)

ويحدد (محمد أحمد الغمراوي) المبررات التي جاء بها صاحب الكتاب لتبرير وضع علم المتقدمين كله موضع الشك كما يلي:

#### ◀ المبرر الأول :

أن مذهب قبول ما قال القدماء في الأدب وتاريخه هو: "المذهب الأول يدع كل شيء حيث تركه القدماء لا يناله بتغيير ولا تبديل، ولا يمسه في جملته وتفصيله إلا مساً رقيقاً... هم لم يغيروا في الأدب شيئاً... وقد أخذوا أنفسهم بالاطمئنان إلى ما قال القدماء، وأغلقوا على أنفسهم في الأدب باب الاجتهاد كما أغلقه الفقهاء في الفقه والمتكلمون في الكلام"، ويضيف (الغمراوي) مستندا على الرؤية العلمية دافعا للباحثين في التراث وغير التراث أن يتصدوا

(1) المرجع السابق، طه حسين نقده الأدبي ووسائله الفرنسية، ص 94-96

للنصوص والأخبار الأدبية إذ يقول... " :إن الباحثين إذا أرادوا قبل البدء ببحث جديد أن يقوموا بما يحتمه عليهم العلم من تحديد الموقف القديم لتقاء موضوع البحث وتبيين وجه الحاجة إلى البحث الجديد، حاولوا ذلك من طرق ثلاث ليس لها رابعة:

إما أن يبينوا في الموقف القديم نقصا سيسعى البحث إلى تكميله، أو لبسا سيسعى البحث إلى تبيينه، أو مخالفة صريحة للحق تستوجب نبذ القديم بعضه أو كله، ولو أن الدكتور اتبع سنة العلم في بحثه لأدرك أن اللغة العربية أكبر من أن يقع دفعة واحدة تحت شك باحث علمي مهما اقتدر.

### ◀ المبرر الثاني :

أن مذهب الشك في علم المتقدمين كله حيث يقول:"أما المذهب الثاني فيقلب العلم القديم رأسا على عقب، وأخشى إن لم يمح أكثره أن يمح منه شيئا كثيرا... و النتائج اللازمة لهذا المذهب الذي يذهبه اليه دون عزيمة جلية الخطر، فهي إلى الثورة الأدبية أقرب منها إلى أي شيء آخر، وحسبك أنهم يشكون فيما كان الناس يرونه يقينا، وقد يجحدون ما أجمع الناس على أنه حق لاشك فيه.(1)

وإذا كان (الغمرائي) قد أوجد المبررات التي ارتكز عليها المؤلف في اختياره لمنهجه، فإنه لم يخف معارضته لطه حسين في بعض آرائه التي هي محط جدل، كاعتباره أن العالم هو من يستحدث الثورات ويستحدث الغرائب بل يراه هو من يجعل الحقيقة الهادئة همه الأول والأخير، و يبدأ بتطبيق هذا المنهج على الأدب لأنه ليس وسيلة تدرس لنفسها من حيث هي سبيل إلى تحقيق غرض آخر، هي تدرس في رأي أصحاب الأدب القديم من حيث هي وسيلة إلى فهم القرآن والدين" يرد الدكتور التهمة الباطلة الموجهة لطه حسين بأنه" يرمي إلى إنكار الشعر الجاهلي... ويدعو للانصراف عنه لأنه منحول ولا يمثل البيئة الجاهلية... وهي تهمة باطلة لعدة أسباب منها:

أن الكتاب نفسه يحتوي على مجموعة من الافتراضات لا المسلمات، وقد كان منهجيا فيها، أنه لم ينكر الشعر الجاهلي ولا شكك في شعرائه إنما ردد نفس الحقائق التي ردها قبله ابن سلام الجمحي، أنه اختار تدريس الأدب العربي والشعر العربي، فالذي يحتقر شيئا لا يوقف

(1) محمد أحمد الغمرائي، النقد التحليلي للكتاب في الأدب الجاهلي، المطبعة السافية، سنة 1929م،

حياته لتدريسه والبحث فيه وهي أسباب تدعونا إلى الجهر ببطلان التهمة الموجهة إليه... نعم إنه أزهرى في كل شيء لقد شغل جيله وأجيالنا وسوف يشغل الأجيال من بعدنا ربما لأنه استطاع أن يكشف الحل الأمثل للمعادلة الصعبة بين القديم والحديث بين الماضي والحاضر، ولأنه كان المثال الحي على العلاقة الخصبة بينه وبين الثقافتين القديمة والمعاصرة ومن المبررات الأكثر حضوراً في عمل طه حسين هي مواجهة ذهنية الإنسان العربي في تعامله مع الواقع الذي هيمن عليه الجمود وتراخت الروح النقدية القادرة على تنوير هذا الواقع، وطرح بدائل فكرية بأدوات جديدة من شأنها عقلنة الحياة الأدبية وغير الأدبية، حيث " يبين أن منهج التغيير عند طه حسين يذهب إلى تغيير الأفق العربي، تغييراً يقوم على ما يسميه بعض الباحثين بالقدرة على التقمص الوجداني أو التفتح السمع، والتي تميز انتقال التمتع من الشكل التقليدي إلى الشكل الحديث،(1)

الذي لا يرفض السلفية في التفكير الأدبي فحسب ولكنه يرفض قيم التمتع التقليدي التي "تدع كل شيء حيث تركه القدماء وفي لهجة متعقطة تحمل الكثير من الإقرار بآراء المؤلف التي خرجت عن المؤلف وتجاوزت الأفكار والأحكام الشائعة (2) مما يعطي خطورة الدعوى ونتائجها وتعطي انطبعا إيحائيا بالوقوف إلى جانب المؤلف ومحاولة الرد على الخصوم، يقول (حسن حنفي) : يتحدى المؤلف القراء أن يخالفوه نظراً لما لديه من براهين علمية ومناهج دقيقة.

(1) حسن أحمد جغام، قضايا ومواقف، دار المعارف تونس، 2000م، ص98

(2) محمد أحمد الغمراوي، النقد التحليلي للكتاب في الأدب الجاهلي، المطبعة السلفية سنة، 1929م،

### • المعارضون على المنهج.

يمكن القول أن بعض أسباب هذه الضجة ديني علمي وبعضها الآخر سياسي، إذ يرى (أحمد حسن جغام) أن أقوى عوامل إثارتها عوامل سياسية بل كان عامل الحزبية هو المحرك الأول لتحريض السلاح الديني، إذ تبين أن الوفديين كانوا يبغضون طه حسين لصلته الوثيقة بالأحرار الدستوريين، وكان التطاحن بين الحزبيين على الحكم يستخدم فيه كل أنواع الأسلحة صنف طه حسين نفسه في زمرة الحاملين لواء الثورة على كل ما هو قديم، فهو ينتمي لفئة المستنيرين الذين لا يُقبلون على علوم القدماء على أنها علوم يقينية، لأن الله خلق لهم عقولا ليست كباقي العقول تشك في كل ما وصلنا عن طريق الرواية في موروث الأمة بأكمله، ليس هذا فحسب بل يطالبنا أن نتخلى عن عواطفنا القومية والدينية (1) جانبا، فحين نستقبل البحث عن الأدب العربي وتاريخه يجب أن ننسى كل هذه العواطف، وأن ننسى كذلك كل ما يضاد هذه العواطف القومية والدينية، فلا نتقيد إلا بمناهج البحث العلمي الصحيح، لأننا إذا لم ننس هذه العواطف فسنكون محاربين كما كان القدماء الشيء الذي أفسد علمهم. فإلى أي مدى يمكن لأي باحث أن يتخلى عن هذه العواطف وهل استطاع هو نفسه التخلي عنها؟

مما يلاحظ على الكتابات العربية والإسلامية حول الاستشراق هو ما يميزها الطابع العدائي ضده والهجوم عليه بدعوة انه من اقنعة الاستعمار البارزة.

### 5. مرتكزات منهج البحث لدى طه حسين:

لقد اتبع حسين في منهجه طريق اصحاب العلم والفلسفة وهذا ما صرح أوضح بقوله (2): انه به و سوف يصطنع في الأدب المنهج الذي استحدثه ديكارت للبحث عن حقائق الأشياء في أول العصر الحديث، (فديكارت Descartes) هو صاحب نظرية الشك التي ولعها الدكتور طه حسين ولعا كبيرا لحد انه قال :إن(ديكارت Descartes) كان ذكيا، حاد

(1) قضايا ومواقف، حسن أحمد جغام، دار المعارف تونس، 2000 م، ص98

(2) المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين، الشركة العالمية للكتاب، المجلد 12، ط1، 1982م،

الذهن، مستعدا للنقد والشك... ولكنه لم يظهر هذا الشك لأنه كان محافظا كأبويه وأساتذته الياسوعيين. (1)

### • منهج طه حسين :

تعتبر القواعد التي جاء بها (ديكارت Descartes) المرتكز الذي أقام عليه طه حسين في منهج بحثه وهذا ملخصه:

أولاً: على الباحث التجرد من كل شيء كان يعلمه من قبل، يقول طه حسين : "والناس جميعا يعلمون أن القاعدة المنهج أن يتجرد الباحث من كل شيء كان يعلمه من قبل وان يستقبل الأساسية لهذا هي موضوع بحثه خالي الذهن مما قيل خلوا تاماً".

ثانياً: يوجب على الباحث ان ينسى قوميته وكل مشخصاته وان ينسى دينه وكل ما يتصل به، يقول طه حسين : "علينا حين نستقبل البحث عن الأدب العربي و تاريخه أن ننسى قوميتنا وكل مشخصاتنا وننسى ديننا".

ثالثاً: إتباع مناهج البحث العلمي الصحيح يقول طه حسين: " ويجب أن لا نتقيد بشيء ولا ندع بشيء إلا مناهج البحث العلمي الصحيح" (2)

إن المنهج الذي اختاره طه حسين قطع ما بين دراسة الشعر الجاهلي الذي يمثل حضوراً واقعياً كإبداع، وبين المعارف المتداولة في أخبار الرواة من صلة، من منطلق إحساسه بل بإقراره بالشك ليلتمس هذه المعارف وغيرها من الشعر مباشرة بوصفه مرآة تنعكس عليها حياة الجاهليين. (3)

وهذا يحاول أن يمتحن صحة الشعر الجاهلي ومدى استجابته لهذه الصورة التي تنعكس على مرآته وانتهى إلى أن الأدب الجاهلي لا يمثل الحياة الجاهلية، وهو يريد أن يدرس هذه الحياة

(1) المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين، الشركة العالمية للكتاب، المجلد 12، ط1، 1982م، ص214

(2) طه حسين، ديكارت في من بعيد، المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين، المجلد 12، بيروت، 1974م

(3) عمر مهيبيل، مقالة الطريقة "ديكارت"، المؤسسة الوطنية لفنون الطبيعة، لا الجزائر، ط1، 1991م،

من خلال القرآن، ومن خلال الشعراء الذين عاصروا النبي وفي شعر شعراء جاءوا من بعده.

### • رؤية طه حسين ومنهج الشك الديكارتي:

يقوم المنهج الديكارتي بالأساس على العقل والتجرد من كل الالتزامات السابقة، ويستند إلى جملة من القواعد التي تساعد الباحث في معالجة النصوص الأدبية وغير الأدبية للوصول إلى حقائق، بناء على فرضيات وتخمينات جاء بها الواقع سواء في شكل من الأشكال يدفع الباحث إلى التساؤل عن حقيقة الأشياء، سلاح الباحث في كل الأحوال العقلانية، و لهذا المنهج قواعد اقترحه (ديكارت Descartes) ليهتدي بها العقل في الوصول إلى الحق و هي:

- ألا نقبل قط شيئاً على أنه حق من غير أن نكون على بينة من ذلك، أي أن نتجنب العجلة والهوى، وألا نضمن قضاياها من الحكم أكثر مما يتمثل للعقل تمثلاً هو من التميز والوضوح بحيث لا يبقى لدينا للشك فيه مجال.
  - أن نجزئ كل مشكلة نمتحنها إلى أكبر ما يمكن أو إلى ما يتطلبه حل المشكلة من الأجزاء. (1)
  - أن نسير في تفكيرنا على ترتيب ونظام مبتدئين بأبسط الأشياء وأسهلها معرفة لنترقى بالتدريج إلى علم أعدها.
  - أن نقوم في كل حالة بتعداد هو من الكمال، وباستعراض هو من السعة، بحيث نكون على ثقة من أننا لم نفلت شيئاً.
- من قواعد هذا المنهج ما يلي:

(1) أنور وجدي، نظرية ديكارت ومنهج الشك الفلسفي في كتاب الأدب الجاهلي، مجلة إسلامية ثقافية،

أ- قاعدة البداهة : وهي ألا اتلقى على الإطلاق شيئاً على انه حق ما لم أتبين بالبداهة انه كذلك بمعنى تحب التعجب، وان لا ادخل في أحكامي إلا ما يتمثل لعقلي بوضوح وتميز، بحيث لا يكون لدي معها أي محال لوضعه موضع الشك وعدم الاعتماد على الحواس لأننا نخدعنا لان المعرفة الحقيقية بالنسبة لديكارت هي المعرفة العقلية التي تستند إلى الأفكار الفطرية في الذهن .

ب- قاعدة التحليل: للوصول الى مثل أفضل لمسألة من المسائل وللحصول على معرفة واضحة تمام الوضوح لا تحليل هذه المسألة في نظر ديكارت بدمن إلى عناصرها الأولية وهذا يمكن التحليل العقل من إدراك الشيء إدراكا مميزا.

ج- قاعدة التركيب: وهي ترتيب ترتيبا العناصر منطقيا قد يختلف مع عملية التحليل الأول وبحيث تنقل من العناصر العناصر من الأقل بداهة ذلك البديهية إلى أن المنهج العلمي البسيطة إلى المركبة يستند إلى التنظيم والدقة وترتيب المسائل ترتيبا تصاعديا حتى يتسنى للعقل إدراكها وهي قمة في وضوحها وتسلسلها<sup>(1)</sup>.

د- قاعدة الإحصاء: وهي طريقة تقوم فيها مراجعة عامة لمختلف عناصر حتى تغفل إحداها لا عن بداية المسار نحو هذه هي القواعد التي رسمها ديكارت المنهج والذي يسمى الشك المنهجي شك يمثل اليقين المعرفة الغاية منه إفساح المحال للعقل لينطلق في استدلالاته إحياءاته النظرية بغية الوصول إلى الحقيقة في شكلها العقلي، الموضوعي<sup>(2)</sup>.

بالعودة إلى الكتاب نلاحظ أن فكرته الأساسية تقوم على رفض شبه كلي لما يعرف بالشعر الجاهلي انطلاقا من المنهج الذي تسلم به منذ البداية وبشجاعة نادرة، فيصرح أن الكثرة المطلقة من الأدب الجاهلي ليس جاهليا و إنما منحول بعد الإسلام، فهو يمثل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم أكثر من تمثيله لحياة الجاهليين .

(1) المرجع نفسه، أنور وجدي، نظرية ديكارت ومنهج الشك الفلسفي في كتاب الأدب الجاهلي، ص 127

(2) المرجع نفسه، أنور وجدي، نظرية ديكارت ومنهج الشك الفلسفي في كتاب الأدب الجاهلي، ص 127

لقد توصل طه حسين بعد تطبيقه لمنهج ديكرت إلى أن الأدب الجاهلي منحول بعد الإسلام، فإلى أي درجة طبق المؤلف هذا المنهج؟ وما مدى تأثيره بمنهج ديكرت؟ للإجابة عن هذا السؤال لابد من عقد مقارنة بين الشك كما مارسه طه حسين، صاحب الشعر الجاهلي والشك كما مارسه (ديكرت **Descartes**) صاحب "قواعد لهداية العقل". فتبين أن ثمة farkا أساسيا بين نوعي الشك، وهو أن الشك الديكرتي يستهدف معرفة موضوع البحث معرفة تحيط بما هو جوهرى و يقينى فيه، في حين أن الشك في صحة الشعر الجاهلي يتسم بالطابع السلبي وينتهي إلى زوال البحث و تلاشيه، لقد سمي منهج الشك الديكرتي منهجيا لأنه على وجه التحديد مجرد أداة يصطنعها العقل بحرية ويستخدمها وفقا لترتيب منطقي صارم وليكتشف ما نعرفه على نحو واضح لا يتطرق إليه أدنى شك. وهو شك القائم على الإرادة وليس نابعا من حالة نفسية أو تجربة وجودية<sup>1</sup>.

(ديكرت **Descartes**) يشك في وجود العالم الخارجي نظرا لأن حواسنا تخدعنا أحيانا ولأننا نتوهم في أحلامنا وجود أشياء ليست قائمة في الواقع ولا يرى أن العالم الخارجي غير موجود، وإنما يعتبره كما لو كان غير موجود أو يفترض ذلك على سبيل الجدل بصفة مؤقتة إلى أن يتبين أسس اليقين في هذا الأمر، ومن هنا كان في استطاعته أن يقيم وجود العالم الخارجي على أسس لا يتطرق إليها الشك في نظره، أما شك طه حسين كما مارسه في دراسة الشعر الجاهلي، فهو أقرب إلى الشك الذي يملك نفس صاحبه ويستغرق فكره فينتهي به إلى إنكار موضوع البحث أنكارا. لقد بالغ في تقدير الأسباب التي تدعو إلى الارتياب في صحة الشعر الجاهلي، فهو يرى أن الشعر الجاهلي لا يمثل ما كان للعرب قبل الإسلام من حياة دينية وعقلية واقتصادية وسياسية. لم يحاول البحث عن أي إستثناء قد يخرج عن هذا التعميم وينفي صدقه، ومعنى هذا أن تفكير طه حسين في هذا قد غلبت عليه الإعتبارات السلبية فاستسلم للشك و أهمل البحث عن دواعي اليقين ومن ثم

(1) عمرو زاير، الحركة النقدية حول كتاب طه حسين في الشعر الجاهلي، مذكرة لنيل شهادة ماجيستر

كانت النتيجة التي انتهى إليها سلبية إلى حد بعيد وهي: أن الكثرة المطلقة مما نسميه أدبا جاهليا ليس من الجاهلية في شيء، وإنما هي منحولة بعد ظهور الإسلام.

لقد ادعى طه حسين أنه يستخدم منهج ديكارت ليغيب الأزهريين حين قال لهم أنهم لا يعرفون هذا المنهج، فالغرب معذورون حين ينسب بعض تلك القواعد إلى (ديكارت Descartes)، فهو أول من أظهره عليها، ولكن ما عذر طه حسين حين ينسب إلى (ديكارت Descartes) منهجا سبقه إليه الغزالي، إلا أن الدكتور كان يجهل مذهب الغزالي في النظر، أم لأن الغرب نسب وهو للغرب تابع<sup>(1)</sup>

(1) المرجع نفسه، عمرو زاير، الحركة النقدية حول كتاب طه حسين في الشعر الجاهلي، ص 158

## 1. مضمون طبعة الكتاب.

قبل عرض أفكار الكتاب لعله من المفيد أن نبين أن كتاب " في الأدب الجاهلي " الذي يبلغ عدد صفحاته 375 صفحة، كان طبعة ثانية و منقحة لكتاب " في الشعر الجاهلي " الذي لا يزيد عدد صفحاته عن 195 صفحة، ولكنهما كتابان لكل منهما هدف معين أو على الأصح مثلما يرى (أحمد جغام) أن كتاب في الأدب الجاهلي كتاب موسع للنظرية الجديدة التي جاء بها طه حسين في كتابه في الشعر الجاهلي إذ أن الفصول الكثيرة التي أضافها في كتابه الجديد لم يكن هدفه منها سوى المزيد من الشرح والتحليل لما جاء في كتابه الأول، بدليل قوله : " و يخيل إلينا أنا قد وضحنا و أزلنا الحجاب عن كل ما نريد أن نكون في موقفنا إزاء هذا النوع من الشعر الجاهلي"، بل كان في جل آرائه يقول : " و هو رأينا الذي لا نحيد عنه، ولا نعدل به رأيا آخر" ما يلاحظ عند تصفحنا للكتاب في طبعتي "في الشعر الجاهلي " و" في الأدب الجاهلي " أن الطبعة الجديدة لم تحمل سوى تنقيحات طفيفة وقليلة. إن أهم ما يلاحظ على كتاب " في الأدب الجاهلي " والذي جاء بديلا لكتابه الأول "في الشعر الجاهلي " إضافات كثيرة نجلها فيما يأتي<sup>(1)</sup>

(1) الخطيب علي أحمد، الشعر الجاهلي بين الرواية والتدوين، مكتبة الدار المصرية اللبنانية، سنة

## 2. الشك في منهجية طه حسين حول كتابه في الشعر الجاهلي:

في عام 1926م أصدرت الجامعة المصرية كتابًا بعنوان "في الشعر الجاهلي" لطه حسين، أثار جدلاً كبيراً بين مؤيدٍ يستبشر بفتحٍ علميٍّ جديد، ومعارضٍ يرى فيما قاله جهلاً واضحاً بتاريخ الشعر العربي. فقد اعتمد الكتاب تطبيق نظرية الشك لديكارت في دراسته للشعر الجاهلي، وفي تحقيق مدى ارتباط هذا الشعر بطبيعة الحياة الجاهلية من منظور لغويٍّ وثقافيٍّ ودينيٍّ واجتماعيٍّ وتاريخيٍّ. بالتالي كان بحثه أقرب لدراسة فنيّة لغوية من منظور تاريخي يسقط كل الافتراضات المسبقة ويبحث في أصولها بحثاً عن اليقين في ظاهرة الشعر الجاهلي.

وقد اعتمد الشعر الجاهلي في نقله على حفظ الحفظ ونقل الرواة، فما وصلنا من الشعر الجاهلي لم يدون إلا متأخرًا جدًا في أواخر القرن الأول من الإسلام. ويرى محمود شاعر أن هذه الدواوين التي كتبت لاحقًا للعصر الجاهلي قد أصابها حين نقلت إلينا بلاءان؛ بلاءٌ قديم سببه إسقاط إسناد الرواية، وإسقاط اختلاف الرواية من مصدرٍ لمصدر. والبلاء الحديث جاء مع عهد المطابع إذ تولى نشر هذه الأصول "من لا يُحسن من هذا شيئاً ولا يبالي به" (1).

والتشكيك في رواية الشعر الجاهلي ورد قديماً في كتاب (بن سلام)، إذ يؤكد على اختلاف العلماء الرواة في نسبة بعض الأشعار، وتأكيده على حدوث تزييف في الشعر على نطاق واسع، مردّه عند (بن سلام)، كل من العصبية القبلية وعبثُ الرواة. على أنه اعتمد من الشعر الجاهلي ما اتفق العلماء عليه من أهل العلم بالشعر.

وفي العصر الحديث أثار بعض المستشرقين ذات القضية مجدداً، فقدّم (إرنست رينان Ernest Renan) سنة 1855 م كتاب عنوانه "تاريخ اللغات السامية ومنهجها المقارن". وكذلك قدّم (تيودور نولدكه Theodor Noldeke) عام 1861م كتاباً بعنوان "مساهمات في معرفة الشعر العربي القديم تحدث فيه عن شكّه في مصادر الشعر الجاهلي وحقيقته.

(1) المرجع نفسه، الخطيب علي أحمد، الشعر الجاهلي بين الرواية والتدوين.

وفي عام 1872 قَدّم (ألفرت **Alfert**) كتابه "ملاحظات حول صحة القصائد العربية القديمة" خصص منه الباب الأول للحديث عن الشك في الشعر الجاهلي ومدى صحته. وتلاه (ألوارد **Alouard**) حين نشر دواوين الشعراء الستة الجاهليين فشكك في صحّة الشعر الجاهلي عامة، منتهياً إلى أنّ عدداً قليلاً من قصائد هؤلاء الشعراء يمكن التسليم بصحته.

في عام 1911م نشر مصطفى صادق الرافعي كتابه "تاريخ آداب العرب" تحدث في جزئه الأول والذي يتعدى منتي صفحة عن اللغات واللغة العربية وتاريخ العرب القديم والرواية الواضعون وروايتهم للشعر الجاهلي وعن الوضع والصناعة في الرواية. وكانت دراسته هي أول ما كتب بالعربية في العصر الحديث.

في عام 1925 م نشرت مجلة الجمعية الملكية الأسيوية مقالة بعنوان "The origins of Arabic poetry أصول الشعر العربي" للمستشرق البريطاني (ديفيد صمويل مرجليوث **David Samuel Margoliouth**) ينكر فيها وجود الشعر العربي القديم بصورته التي وصلتنا قبل الإسلام، ويعتمد في قراءته للنقوش الجاهلية المكتوبة بالخط الحميري للوصول إلى استنتاج مفاده أن شعراء الجاهلية لم يعرفوا الوزن ولا القافية وإنما كان كلامهم أقرب إلى النثر اختلفت لهجاته وقواعد نحوّه. يذكر (مارجليوث **Margoliouth**) بعد دراسة تاريخية ولغوية مقارنة بين الشعر الجاهلي والقرآن أن هذا الشعر المنسوب إلى العصر الجاهلي لا يعبر عن الملل والنحل التي كانت موجودة في العصر الجاهلي، ولا عن حياتهم الدينية والفكرية الحضارية، وهو أقرب لغويًا إلى القرآن منه إلى لهجات العرب المختلفة، بما يعني أنه كُتب بعد نزول القرآن، بالتالي كان القرآن مصدرًا من مصادر الشعر الجاهلي وليس العكس. وهو ما اتبعه طه حسين في كتابه. (1)

بعد عشرة أشهر وفي عام 1926م نشر طه حسين كتابه "في الشعر الجاهلي" محاولاً إعادة دراسة الشعر الجاهلي من منظور تاريخي. وتعتبر هذه الدراسة هي أول دراسة عربية

(1) بلاسي محمد ، قضية الانتحال في الشعر الجاهلي، مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم،

تتناول الأدب العربي من خلال منهجية نظرية فلسفية غريبة. وهو ما يطرح سؤالاً مهماً حول كيفية انعكاس منهج الشك الفرنسي عند طه حسين وكيف قرأ به تاريخ الشعر الجاهلي؟

يبدأ الكتاب بتأكيد ضرورة تفعيل المنهج العلمي في تناول الأدب وتاريخ فنونه، كبديل عن أخذ دراسات الأقدمين ذات التوجه غير العلمي الممتلئ بالأهواء والانتماءات ما أفسد عليهم علمهم وما وصلوا إليه من استنتاجات. ويرى أن تفعيل المنهجية العلمية وخاصة منهجية الشك الديكارتي فإنه يقلب العلم رأساً على عقب ولهذا فهو مضطراً إلى الشك فيما وصلوا إليه محاولاً التخلص من كل هوى أو عاطفة دينية أو سياسية لا تمت للبحث العلمي بصلة، فلو أن الفلاسفة ذهبوا في الفلسفة مذهب (ديكارت Descartes) منذ العصور الأولى، لما احتاج (ديكارت Descartes) أن يستحدث منهجه الجديد . (1)

دراسة الشعر الجاهلي من هذا المنطلق لا بد أن تبدأ بسؤال، أهنالك شعر جاهلي؟ فإن كان هناك شعر جاهلي فما السبيل إلى معرفته؟" بالتالي إسقاط أي افتراضات مسبقة عن تاريخ هذا الشعر، أو تاريخ قائله، والبدء مجدداً من الصفر بحيث يستوجب هذا المذهب تناول كل فرضية بالبحث المدقق قبل الأخذ بها، ثم يعيد البناء على هذه الفرضيات المقبولة ليصل إلى نتيجة أو استنتاج. وهي المنهجية التي اتبعها (ديكارت Descartes) في كتابه "تأملات في الفلسفة الأولى" محاولاً الوصول بالشك إلى اليقين في وجود الذات ووجود الفكر ووجود الإله.. إلخ. وبرغم أن الشك عند ديكارت لم يكن موقفاً نهائياً وإنما محاولة للوصول إلى اليقين، فإن طه حسين ينبؤنا في بداية حديثه أنصار الجديد " قد ينتهون إلى تغيير التاريخ وهم قد ينتهون إلى الشك في أشياء لم يكن يباح الشك فيه"، بالتالي قد يكون الشك عند طه حسين موقفاً نهائياً.

وموقفه في ظاهرة الشعر الجاهلي تأتي من رؤية لغوية وتاريخية مفادها أن الكثرة المطلقة مما نسميه شعراً جاهلياً ليست من الجاهلية في شيء وهو يعود لتلمس الطريق إليه على

(1) المرجع نفسه، بلاسي محمد، قضية الانتحال في الشعر الجاهلي، ص 55

خلاف ما ذهب إليه القدماء من خلال مجموعة من الفروض التي يضعها ويحاول من خلالها أن يصل إلى نتيجة.

← **الافتراض الأول:** القرآن والأساطير مصدر أساسي لمعرفة الحياة الجاهلية.

فالطريق إلى الحياة الجاهلية يمكن الوصول إليه عن طريق مصدرين هما القرآن الكريم، والأساطير. " فإذا أردت أن أدرس الحياة الجاهلية أدرسها في نص لا سبيل إلى الشك في صحته، أدرسها في القرآن ونص القرآن ثابت لا سبيل إلى الشك فيه".

على أن المؤلف لا يخبرنا لماذا يفترض أن القرآن لا سبيل إلى الشك في صحته، وهل أتى هذا الافتراض من عقيدة كان ينتقد اتباع القدماء لها في البحث العلمي منذ عدة فقرات؟ يصل طه حسين من فرضية القرآن كمصدر للحياة الدينية والفكرية والاجتماعية إلى نتائج محددة نوجزها فيما يلي:

أ- رفض قريش للقرآن رفضاً شديداً مردّه إلى أنها كانت متدينة قوية الإيمان بدينها. ولهذا الدين وللإيمان جاهدت ما جاهدت وضحت ما ضحت. بينما الشعر الجاهلي الذي ينسب إلى العصر الجاهلي يعجز عن تصوير الحياة الدينية للجاهليين.<sup>(1)</sup>

ب- مجادلة قريش للنبي صلى الله عليه وسلم، تمثل قدرة على الجدل والخصام أنفق القرآن في جهادها حظاً عظيماً وهو ما يمثل حياة فكرية وثقافية قوية لا تظهر ولا تنعكس على الشعر المنسوب إلى العصر الجاهلي.

ج- العرب أمة منفتحة فكرياً وثقافياً لاهتمامهم بسياسة الروم، وسفرهم إلى الشام والحبشة حيث الروم والفرس، ولكون بعض العرب هاجروا إلى الحيرة وبلاد الفرس. هذا الانفتاح الثقافي والاجتماعي لا أثر له في الشعر المنسوب للعصر الجاهلي.<sup>(2)</sup>

← **الافتراض الثاني:** اختلاف لغات العرب ( قحطانية، وعدنانية).

(1) المرجع نفسه ، بلاسي محمد، قضية الانتحال في الشعر الجاهلي، ص 57

(2) المرجع نفسه ، بلاسي محمد، قضية الانتحال في الشعر الجاهلي، ص 58

اختلاف لهجات العرب القحطانية والعدنانية لا ينعكس في الشعر الجاهلي الذي لا تختلف لغته ولا تقسيمات أوزانه ولا قوافيه. إذ نستطيع أن نقول أن الصلة بين اللغة العربية الفصحى التي كانت تتكلمها العدنانية واللغة التي كانت تتكلمها القحطانية في اليمن إنما هي كالصلة بين اللغة العربية وأي لغة أخرى من اللغات السامية المعروفة.

وهذا الافتراض يأتي بعد دراسة تاريخية لغوية تطيح بالافتراض الأول للدراسة وهو اعتبار القرآن مصدرًا لا سبيل إلى الشك فيه، واعتماده كمصدر أساسي للنظر في طبيعة الحياة الجاهلية. فدراسته التاريخية للغة العربية تبدأ بالتشكيك في أن العرب المستعربة قد تعلمت اللغة العربية على يد العرب البائدة أو العاربة، وأن أول من تعلم اللغة العربية من العرب المستعربة هو اسماعيل عليه السلام.

يؤكد على اختلاف لغة العرب القحطانية، عن لغة العرب العدنانية، اعتماداً على اتفاق الرواة، وعلى مقولة منسوبة إلى (أبي عمرو بن العلاء)، "ما لسان حمير بلساننا، ولا لغتهم بلغتنا"، وكذلك إلى نقوشٍ ونصوص منسوبة إلى العصر الجاهلي تمكّننا من إثبات هذا الخلاف في اللفظ وفي قواعد النحو والتصريف أيضاً. وبناءً على الفرض القائل باختلاف اللغة قحطانية عن العدنانية في العصر الجاهلي يرفض المؤلف قصة هجرة إسماعيل عليه السلام، وتعلمه العربية من العرب العاربة،<sup>(1)</sup> إذ كيف بعد ما بين اللغة التي كان يصطنعها العرب العاربة واللغة التي يصطنعها العرب المستعربة، حتى استطاع (أبو عمرو بن العلاء) أن يقول أنهما لغتان متميزتان.

وبدلاً من أن يتناول المؤلف افتراض تطور وتبدل وتغير اللغة منذ زمن اسماعيل عليه السلام إلى زمن (أبو عمرو بن العلاء) في القرن الثاني الهجري خاصة وأن لسان العرب العاربة كان يختلف عن لسان العرب المستعربة كما تغيرت وتبدلت اللغة اللاتينية وخرج من رحمها اللغات الأوروبية الحديثة، فإن المؤلف فضل رفض قصة تعلم العربية وتغيرها بين القبائل، وافتراض اختلاق العرب واليهود هذه القصة لأسباب سياسية وبنفعية. فهو يعود

(1) الخطيب علي أحمد، الشعر الجاهلي بين الرواية والتدوين، مكتبة الدار المصرية اللبنانية، سنة 2003

بالتاريخ إلى الحروب العنيفة التي شبت بين هؤلاء اليهود المستعمرين وبين العرب الذين كانوا يقيمون في هذه البلاد، وانتهت بشيءٍ من المسالمة والملاينة ونوع من المحالفة والمهادنة، ثم يفترض أنه ليس يبعد أن يكون هذا الصلح الذي استقر بين المغيرين وأصحاب البلاد منشأ، هذه القصة التي تجعل العرب واليهود أبناء أعمام، لا سيما وقد رأى أولئك وهؤلاء أن بين الفريقين شيئاً غير قليل، فأولئك وهؤلاء ساميون. (1)

وفي هذه الجدليات والافتراضات ما يتنافى تماماً مع منهج الشك الديكارتي الذي اعتمده وصرح باتباعه منذ الصفحات الأولى للكتاب. فلم يتم ذكر منشأ قصة الحرب هذه، ولا قصة الصلح ولم يُجر عليها بالبحث والتحليل والتشكيك في صحتها وصولاً إلى اليقين فيهما، ولا تم هذا كذلك مع افتراض أن العرب واليهود ساميون وهو الافتراض الذي وفقاً لهذا الزعم بنى عليه العرب واليهود قصة نسبهم. وإنما وُضعت هذه الفرضيات دون توضيح لها، وبُنِي عليها استنتاجٌ ينكر قصة تعلم العرب المستعربة للعربية من العرب البائدة، واختلاق هذه القصة لأسبابٍ سياسية مختلفة، ثم مجيء القرآن بإقرارها لأسبابٍ نفعيةٍ أخرى منها تعميق الصلة المادية مع الديانات السابقة، برغم أن الإسلام قد دخل في حروبٍ شرسة مع الديانات السابقة وأتباعها. ولم يذكر المؤلف كذلك السبب الذي أدى إلى ورود أسماء إبراهيم وإسماعيل في التوراة، وما إذا كانت المصلحة السياسية قد استوجبت ذكر هذه الأسماء في التوراة، وإدخالها في دينهم.

### ◀ الافتراض الثالث: اختلاف لهجات العرب العدنانية.

وفي تأكيده لاختلاف اللهجات العربية عن لهجة قريش يستشهد باختلاف قراءات القرآن الكريم عندما نقل من قريش إلى القبائل الأخرى فكثرت قراءاته وتعددت اللهجات فيه وتباينت تبايناً كثيراً، إذ أن هذه اللهجات أمالت حيث لم تكن تميل قريش، ومدّت حيث لم تكن تمد، وقصرت حيث لم تكن تقصر، وسكّنت حيث لم تكن تسكن، وأدغمت واخفت ونقلت حيث لم تكن تدغم ولا تخفي ولا تنقل. فهذا النوع من اختلاف اللهجات له أثره الطبيعي اللازم في الشعر وأوزانه وتقاطيعه وبحوره وقوافيه بشكلٍ عام. وهو في هذا

(1) المرجع نفسه، الخطيب علي أحمد، الشعر الجاهلي بين الرواية والتدوين، ص 120

يستتكر أن الشعر المنسوب إلى الجاهلية لا يحمل هذه اللهجات، وتستقيم أوزانه مع الأوزان العربية الخيلية.

وإن كان القرآن في نقله إلى القبائل الأخرى قد تبدلت وتعددت قراءاته للدرجة التي يؤثر بها على موسيقى الكلام، فلم يرفض اختلاف أوزان الشعر وموسيقاه وقوافيه عندما انتقل من هذه القبائل إلى رواة عرب قريشيين رووه بلهجتهم وقراءتهم المختلفة التي لا تتبع لسان هذه القبائل، فاتخذ شعرهم أوزان قريش ولهجته وقوافيه، خاصة وأن كتابة الشعر الجاهلي وتدوينه أتى في عصر لاحقٍ للخلافة الراشدة، وغالبًا في العصر الأموي. (1)

(1) مرجع نفسه، الخطيب علي أحمد، الشعر الجاهلي بين الرواية والتدوين، ص 77

## • نتائج الشك :

لقد أثمرت دراسات طه حسين وبحثه الطويل وتفكيره العميق نتيجة ذكر أنه يفاجئ بها كل من يقرأها وهي الكثرة المطلقة ما نسميه شعرا جاهليا ليس من الجاهلية شيء وإنما هي منتحلة بعد ظهور الإسلام فشعر (امرئ القيس) أو (طرفة) أو (ابن كلثوم) أو (عنتر) ليس من هؤلاء الناس في شيء وإنما انتحال الرواة أو اختلاف الاعراب أو صنعة النحاة أو تكلف القصاص أو اختراع المفسرين والمتكلمين، يقصد طه حسين أنه أول من قام بدراسة تتضمن الشك في هذا الشعر لكن المعروف أن هناك الكثير ممن سبقوه في هذا المجال ومن بينهم (ابن سلام الجمحي) في كتابة المشهور "طبقات فحول الشعراء" إذ يعتبر من علماء الرواة، وكان ما من رأي أو فكرة في النقد إلا وأخذ بها وقد تعلق كتابه ما يلي:

- أولا: بمذاهب الشعراء ومنازلهم.
- ثانيا: بالأشعار التي تستند الى غير قائلها.
- ثالثا: جمع الآراء المبعثرة التي قيلت في الشعر والشعراء.
- رابعا: جمع ما قاله الأدباء و العلماء في نقد الشعر وفي الكلام عن الشعراء. (1)

(1) عبد الرحمان بدوي، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، دار العلم للملايين، بيروت، 1979 م

اعتمد طه حسين في كتابه على منهجية غير واضحة، ووضع فرضياتٍ غير ثابتة يؤكدُها حيناً ويرفضها حيناً آخر، فهو قد اعتمد الشك في الشعر الجاهلي كمصدرٍ لمعرفة الحياة الجاهلية من نواحيها المختلفة الدينية والاجتماعية والثقافية واللغوية، ووضع مراجع محددة قال بصحتها منها القرآن الكريم والأساطير، لمحاولة استكشاف جوانب الحياة الجاهلية من أجل المقارنة، بين هذه الحياة الجاهلية التي تظهر في القرآن والأساطير وبين الحياة الجاهلية التي تنعكس في الشعر الجاهلي، وإعادة النظر فيما إذا كان الشعر المنسوب للجاهلية قد صدر عن هذه القبائل فعلاً أم لا. إلا أنه لم يثبت فرضياته الأساسية ولم يصل إليها بالشك كما هو مفترضٌ وفقاً لنظرية (ديكارت Descartes)، وكذلك نقض فرضياته الأساسية للوصول إلى ما يستبطن الوصول إليه. (1)

(1) عبد الرحمان بدوي، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، دار العلم للملايين، بيروت، 1979 م

## 4. ملخص الكتاب في الأدب الجاهلي:

الكتاب الأول: لمحة تاريخية حول النقد الأدبي العربي الحديث.

أ- الأدب في مصر : دراسة الأدب في مصر لها مذهبان :

مذهب القدماء يمثله (المرصفي) كان يقوم على تفسير مذهب اللغويين والنقاد القدماء المسلمين في بصرة وكوفة وبغداد والانصراف عن مذهب الأوروبيين استحدثته جامعة مصر بفضل (نلينو Nallino) والذي كان ينحو في درس الآداب العربية نحو النقاد ومؤرخي الآداب والفرق بينهم عظيم ولا بد إذا اردنا أن نتقن الآداب العربية إتقاناً صحيحاً ونفقه تاريخها فقها فلا بد من دراسة هذين المذهبين، نلاحظ وجود مذهب ثالث مشوه رديء كله شر، وخير أن ينصرف عنه الأساتذة والطلاب، مع أن هذا المذهب كان قائماً في مدرسة القضاء ودار العلوم في المدارس المصرية الثانوية، فكانت هذه الحال في المدارس الحكومية في أوائل هذا القرن. أما الجامعة المصرية القديمة قد أخذت تغيراً فعينت بالمذهبين النافعين في وقت واحد، وبالتالي إذا ظل الأدب مثقلاً بهذه الأغلال والقيود لا تستطيع أن تجدد أو تحي وإنما هي مضطرة بطبيعتها إلى السكون والجمود فلا تستطيع أن تصبح اللغة علمية حية بالمعنى الصحيح.

ب- سبيل الإصلاح:

لهذا الإصلاح سبيلان إحدهما يلجأ إليها المضطربين، لأننا لا نجد خيراً منها. فلا بد لنا أن نعلل بها حتى نستطيع أن نصل إلى السبيل الثاني، وهي قومية المتينة المنتجة، فأما الأولى فهي أن نجتهد ما استطعنا في أن نجيب إلى طلاب المدارس العالية وتلاميذ المدارس الثانوية، والابتدائية، قراءة النصوص العربية ونفهمها وننظرهم على أن الأدب العربي ليس جافاً.

## ج- الثقافة ودراسة الأدب :

لم يتم ذكر شيء كان ينبغي أن يلجأ لهذا كله لأنه أساسي للأدب ولكل دراسة علمية قوية منظمة، وهي الثقافة العلمية المتينة التي لا يستطيع أن يستغنى عنها الطالب كما لا يستطيع أن يستغنى عنها كل إنسان و لعل حاجة الأدب إلى هذه الثقافة أشد من حاجة الدراسات الأخرى، فالأدب بطبيعته شديد الحاجة إلى المقارنات والموازنات فليس من السبيل التعمق في الأدب إلا إذ كان الطالب قد تمكن من هذه الثقافة فقد يكون من العسير أن تجد في مصر شيخ من شيوخ الأدب قد قرأ (هوميروس Homère) أو (سوفليكس Soflix) فقد لا تكاد تجد في فرنسا أو ألمانيا شابا من أوساط الناس لا يختص الأدب دون أن يكون قد ألم من هذه كلها.

1) **الأدب:** إن الأدب في جوهره إنما هو مآثور الكلام نظما ونثرا ، وبالتالي فالأديب لا يستطيع فهم أو تذوق هذا الكلام المآثور إلا اعتمد على ثقافته العامة، على حين يعني الأدب قبل كل شيء بهذا الكلام المآثور وبالتالي التاريخ الأدبي يعني به من أمرين لا بد منهما :

- تاريخي صرف فهو ينبئنا بالأدب وما اختلف عليه من أطوار ما عمل فيه من مآثورات متباينة تباين العصور والبيئات.
- يتجاوز التاريخ بعض التجاوزات، فهو يهون على طلاب الأدب درس الأدب والتعمق فيه، فتاريخ الآداب على قيمته التاريخية الصرفية نافع للعامة المستثيرين لأنه يريحهم ويقدر إليهم ما يحتاجون إليه نافع للطلاب لأن يبعث فيه الشوق إلى البحث والدرس.

2) **الصلة بين الأدب وتاريخه:** تاريخ الادب لا يستطيع أن يستقل ولا يكون علما منفصلا قائما بنفسه، فتاريخ الأدب اذا هو الأدب نفسه من جهة لأنه يتأثر بمآثور الكلام من الذوق، وتاريخ الأدب علة من جهة أخرى لكنه لا يستطيع أن يكون علما كالعلوم الرياضية والطبيعة، ولا يستطيع أن يكون بحثا موضوعيا وإنما بحثا ذاتيا.

3) **الأدب الإنشائي والأدب الوصفي :** الأدب نوعان إحداهما أدب انشائي والآخر أدب وصفي :

الأدب الإنشائي: هو الكلام ونثرا، وهو هذه القصيدة التي ينشدها الشاعر، والرسالة التي ينشئها الكاتب هذه الآثار التي يحدثها صاحبها لا يريد بها إلا ان يصف شعورا واحساسا.

الأدب الوصفي : هذا الأدب لا يتناول الأشياء من حيث هو، لا يتناول الطبيعة وجمالها إنما يتناول الأدب الانشائي مفسرا حيناً، ومحللاً حيناً، ومؤرخاً حيناً اخر.

#### د- مقياس التاريخ الادبي:

- 1) المقياس السياسي: نعني به أننا لا يمكن أن ننكر الصلة بين الأدب والسياسة، وغنما لا نريد أن نصرف في أمر هذه الصلة حتى تصيح السياسة مقياس للأدب.
  - 2) المقياس العلمي : هناك مذهب فريق من النقاد ومؤرخي الآداب بفرنسا ظهروا إبان القرن الماضي وهم يتفوقون فيما بينهم ويختلفون، يتفقون في أنهم يريدون أن يجعلوا تاريخ الادب علما كغيره من العلوم الطبيعية الأخرى، ويختلفون في الطريق التي يسلكوها الى هذا الغرض.
  - 3) المقياس الأدبي: نعني به أن لا يكون تاريخ الأدب علما كله، لأن ذلك يبرئه من شخصية المؤلف ويحرمه الذوق ويضطره إلى أن يكون جافا عميقا، يجب أن يكون تاريخ الأدب من الين والخفة الخصب بحيث يحبب الأدب إلى الناس من جهة، ويستطيع تفسير الظواهر واستكشاف الصلة بينهما من جهة أخرى.
- ه- الحرية والادب :

الأدب بحاجة إلى الحرية وهو في حاجة إلى ألا يعتبر علما دينيا ولا وسيلة دينية وهو في حاجة إلى ان يتحرر من هذا التقديس وإلى أن يكون كغيره من العلوم قادرا على أن يخضع للبحث والنقد والتحليل والشك والرفض فلتكن قاعدة أن الأدب ليس علما من علوم الوسائل يدرس لفهم القرآن والحديث معا، وإنما هو علم يدرس لنفسه ويقصد به قبل كل شيء إلى التذوق لجمال الفني فيما يؤثر في الكلام.

الكتاب الثاني: الجاهليون لغتهم وأدبهم.

أ- تمهيد :

هناك بحث أقوى دلالة، وله الحجة من المباحث الماضية كلها، ذلك هو البحث الفني واللغوي، وينتهي بنا هذا البحث إلى أن الشعر الذي ينسب إلى امرء القيس أو الأعشى أو غيرهم لا يمكن من الناحية اللغوية والفنية أن يكون لهؤلاء الشعراء.

ب- منهج البحث:

المنهج الذي سلكه في هذا النحو من البحث مسلك المحدثين من أصحاب العلم والفلسفة وهو المنهج الفلسفي الذي استحدثه ديكارت للحث عن الحقائق للأشياء في أول هذا العصر الحديث.

ج- مرآة الحياة الجاهلية :

يجب أن تلتمس في القرآن لا في الأدب الجاهلي، فإذا كان العرب أصحاب علم ودين وأصحاب الثروة والقوة، وأصحاب سياسة متصلة بالسياسة العامة متأثرة بها و مؤثرة فيها وأصحاب إقتصاد داخلي وخارجي، فما أخلقهم أن يكونوا أمة متحضرة لا أمة جاهلة همجية وبالتالي فإن التماس الحياة العربية الجاهلية في القرآن أنفع وأجدى من إلتماسها في هذا الأدب العقيم الذي يسمونه الأدب الجاهلي.

د- الأدب الجاهلي واللغة:

إذ أرنا أن نحدد المعنى الذي يدل عليه لفظ اللغة العربية الفصحى هو أن يعتمد على هذا التحديد على الموطن الجغرافي لا على الأنساب والأساطير.

ه- الشعر الجاهلي واللهجات:

لقد كانت لكل قبيلة من القبائل العدنانية لغتها ولهجتها ومذهبا في الكلام، وأن يظهر اختلاف اللغات وتباين اللهجات في شعر هذه القبائل الذي قيل أن يفرض القرآن على العرب، وتباين

اللهجات في شعر هذه القبائل قيل أن يفرض القرآن على العرب لغة واحدة ولهجات متقاربة، ولكننا لا نرى شيئاً من ذلك الشعر العربي الجاهلي، فقد نستطيع أن نقرأ هذه المطولات والمعلقات التي هي نموذج الشعر الجاهلي دون أن نشعر فيها بشيء من الاختلاف في اللهجة أو التباعد في اللغة، كل هذه المطولات يدل على أن اختلاف القبائل لم يؤثر في شعر الشعراء فنحن بين اثنين :

- إما أن نؤمن أنه لم يكن هناك اختلاف بين القبائل،
- وإما أن نعترف بأن هذا الشعر لم يصدر عن هذه القبائل وإنما حصل عليها بعد الاسلام، ونحن نميل الى الثانية فالرهان القائم على اختلاف اللغة واللهجة كان حقيقياً واقعي بالقياس الى عدنان وقحطان.

### الكتاب الثالث: أسباب نحل الشعر.

#### أ- قضية النحل :

ليس النحل مقصوراً على العرب فقط، وإنما يتجاوزها إلى غيرها من الأمم القديمة . ولا سيما ما هاتين الأمتين الخالدتين، فلتك الأمة العربية أول أمة نحل فيها الشعر نحلاً، وحمل على قدمائهم كذباً وزوراً، وإنما نحل الشعر في الأمة اليونانية والأمم الرومانية حمل على قدمائهم الشعراء، وانخدع به الناس وامنوا به، وأنشأت عن هذا الانخداع والإيمان سنة أدبية توارثها الناس مطمئنين إليها، كان العصر الحديث وحتى استطاع النقاد من أصحاب التاريخ والأدب واللغة والفلسفة أن يردوا الأشياء إلى أصولها وما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

#### ب- السياسة و نحل الشعر:

إن العصبية وما يتصل بها من المنافع السياسية قد كانت من أهم الأسباب التي حملت العرب على النحل بشعر للجاهلين وسبق القدماء إلى هذه النتيجة (فابن السلام) يحدثنا أن أهل العلم قادرون على أن يميزوا الشعر الذي ينحله الرواة في سهولة، ولكنهم يجدون المشقة وعسراً في تمييز الشعر الذي ينحله العرب أنفسهم، وبالتالي نستخلص القاعدة العامة، وهي أن مؤرخ الآداب مضطر حين يقرأ الشعر المسمى جاهلياً أن يشك في صحته كلما رأى شيئاً من شأنه تقوية العصبية وتأييد فريق العرب على فريق، ويجب أن نستند هذا الشك كلما

كانت القبيلة أو العصبية التي يؤيدها هذا الشعر أو القبيلة قد لعبت دورا في الحياة السياسية للمسلمين.

### ج- الدين ونحل الشعر:

لم تكن العواطف والمنافع الدينية أقل من العواطف والمنافع السياسية أثرا في تكلف الشعر ونحله وإضافته إلى الجاهلين لا نقول في العصور المتأخرة وحدها بل في العصور الأموية أيضا، ولما ارتقى عصر النحل المتأثر بالدين إلى أيام الخلفاء الراشدين فقد تشكلت أشكال مختلفة، دعت إليها الظروف المختلفة التي أحاطت بالحياة الدينية للعرب خاصة والمسلمين عامة، فكان هذا النحل في بعض أطواره يقصد به إثبات صحة النبوة و صدق النبي صلى الله عليه وسلم.

### د- القصص ونحل الشعر :

موقف الإنكار الصريح الذي يضاف إلى الجاهلين، والذي هو في حقيقة الأمر تفسير أو تزيين لقصة من القصص، أو توضيح اسم من الأسماء، أو شرح لمثل من الأمثال، وكل ما يروي من أيام العرب وحروبها وخصوماتها أو ما يتصل بذلك من شعر خليق أن يكون موضوعا، والكثرة المطلقة من موضوعه، وكل ما يروي من هذه الأخبار والأشعار التي تتصل بما كان بين العرب والأمم الأجنبية من العلاقات بين الإسلام كعلاقاتهم بالفرس و اليهود والحبشة.

### الشعبية ونحل الشعر:

اعتقد أن هؤلاء الشعبية قد نحلوا أخبارا وأشعارا كثيرة وأضافوها إلى الجاهلين والإسلاميين، ولم يقف أمرهم عند النحل الأخبار والأشعار كثيرة، بل هم قد اضطروا خصومهم ومناظريهم إلى النحل والإسراف فيه.

### و- الرواة ونحل الشعر:

من الأسباب العامة التي كانت تعمل على النحل والتي يتصل بالظروف للحياة السياسية والدينية والفنية للمسلمين فقد كانت هذه الأسباب تتصل بأشخاص هم الرواة وهم بين اثنين، إما ان يكونوا من العرب، وإما أن يكونوا من الموالي وهم على تأثيرهم بهذه الأسباب العامة متأثرين بأسباب عامة.

ولعل أهم هذه المؤثرات التي عبثت بالأدب العربي وجعلت حظه من الهزل عظيمًا وهي مجون الرواة و أطرافهم في اللهو والعبث، وانصرافهم عن أصول وقواعد الأخلاق إلى ما يأبه الدين وتنكر الأخلاق .

#### الكتاب الرابع: الشعر والشعراء .

##### أ- قصص التاريخ :

لن نستطيع أن نسمي حقا ما ليس بالحق وتاريخا ما ليس بالتاريخ، ولن نستطيع أن نعترف بأن ما يروى من سيرة هؤلاء الشعراء الجاهلين وما يضافوا إليهم من الشعر تاريخ يمكن الاطمئنان اليه أو الثقة به، وإنما كثرة هذا كله قصص وأساطير لا تفيد تقنيا ولا ترجيحيا وإنما تبعث في النفوس ظنونا وأوهاما، فسييل الباحث المحقق أن يستعرضها في عناية وبراعة من الأهواء و الأغراض، فيدرسها محلا ناقدا، فإن انتهى من دراسة هذا الى الحق أو شيء يشبه الحق أثبتته بكل ما ينبغي أن يحتفظ به من الشك الذي قد يحمله على أن يغير رأيه ويستأنف بحثه ونظره من جديد .

##### ب- شعر اليمن:

كان لليمن في شعر الجاهلية شعراء والقدماء لا يشكون ذلك، وهم يحصون شعراء اليمنيين ويرون لبعضهم قصائد، ومقطوعات و لبعضهم البيت أو البيتين، ويرون لهم أخبارا تختلف طولاً و قصراً وتتفاوت قوة وضعفا ولكن اننا نقف من هؤلاء الشعراء جميعا، ولا نقول موقف الحيطة والشك بل موقف الرفض والإنكار فأمر هؤلاء الشعراء قائم كله على خطأ أساسي، أو قائم كله على التكلف قصد به التضليل، ذلك أن القدماء زعموا أو خيل لهم أن أهل اليمن عرب كغيرهم من العرب، فيجب أن يكون حظهم من الشعر أو الشعراء كحظ غيرهم من أهل الحجاز، واذا كان الأمر كذلك فلا بد أن يكون لكل قبيلة شاعرها، ولا بد أن تكون ألسنة اليمنيين عذبة فصيحة منطلقة بجيد الشعر ورديئة، كما كانت ألسنة العدنانيين والمضربيين خاصة.

## الكتاب الخامس: الشعر المضرى

## أ- الشعر المضرى والنحل:

إن شعر المضرىين شعرا صحيحا في الجاهلية ليس من شأنه أن يريحنا أو يحملنا على الاطمئنان بل من شأنه أن يضاعف حظنا من المشقة والعناء، لأننا مضطرون إلى أن نبحث عن هذا الشعر الصحيح ونحن مضطرون في هذا البحث إلى أن نلاحظ كل ما قدمناه من أسباب النحل، ونلاحظ بعد ذلك أصولا وقواعد أخرى فنية وعلمية لم نحتاج إليها في شعر اليمىين و الربعىين وسنرى عندما نعرض للشعراء المضرىين أن الأمر في تحقيق هذا الشعر ليس من اليسر واللين بحيث يخيل إليك.

## ب- كثرة الشعراء المضرىين:

قد حفظن كتب الأدب والتاريخ من أسماء شعراء المضرىين في الجاهلية كقبيلة بأن توقفك موقفا لا يخلو من الحيرة، فهذه الأسماء كثيرة غريبة، وهذه الكثرة مناقضة لطبيعة الأشياء من جهة، ولما حفظ من شعر المضرى القديم من جهة أخرى، فأما طبيعة الأشياء فتأبى فيما يظهر أن يكون الشعراء المضرىون من الكثرة بحيث لا يخلو من قبيلة ولا فصيلة ولا مدينة، وقد لا يكون من الغريب ألا يجتمع فريق من العرب في مكان أو تحت اسم من الأسماء دون أن يكون لهم شاعرا أو شعراء، وقد يقال أن الشعراء كان في ذلك العصر حاجة اجتماعية لازمة قاسية أن تستغنى عنها القبيلة، ولا أن يستغنى عنها الحي من أحياء العرب صغرا أو كبرا، قل أو كثر.

## ج- النقد الداخلى:

العناية بالسند لا تكفي لتصحيح ما يصل إلينا من طريقة، ولا بد لنا من أن نتجاوز هذا النقد الخارجى إلى النقد الداخلى، إن صح التعبير إلى نقد يتناول النص الشعري في لفظه و معناه ونحوه وعرضه وقافيته، وهذا النقد اللازم لأن وحده يستطيع أن يظهر على قيمة ما يروى لنا من الشعر الصحيح هو أم غير صحيح.

## د- غرابة اللفظ:

لا يجب أن نتخذ غرابة اللفظ دليلا على الصحة، ولا ينبغي أن نتخذ سهولة اللفظ دليلا ناجحا على النحل والحدة، إذ فليس غريبا أن نقرأ الشعر الذى يضاف إلى الجاهلىين فنفهمه

دون مشقة، وإن نقرأ شعر الذي يضاف إلى الجاهلين فلا نفهم منه شيئاً ونرفض مع ذلك أن يكون صحيحاً.

وإنما الشعر الذي نستعد للنظر لصحته هو الذي يناسب لغة القرآن وما صح من الحديث متانة اللفظ و رصانة، وقريبا من الفهم.

#### هـ- بداوة المعنى:

قد يذهب قوم إلى إلتماس أسباب الصحة في النحل في المعنى دون اللفظ ، ويعتمدون في ذلك على ما يعتمد عليه أصحاب الغريب من أن الشعراء الجاهليين والمضريين خاصة، كانوا أهل البادية يعيشون في الصحراء عيشة فيها شغف كثير، وإذا كان الشعر في لفظه ومعناه مرآة الحياة الشاعر خاصة، ولحياة البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الشاعر وجهة عامة، فيجب أن تكون المعاني التي يقصد إليها شعراء الجاهليين ملائمة للحياة الأدبية في صورها وأغراضها وموضوعاتها كما أن ليس من الفطنة أن تتخذ غرابة اللفظ مقياساً لصحة هذا الشعر ايضاً.

#### و- مقياس المركب:

لا يمكن أن نعتمد على اللفظ وحده، ولا نعتمد على المعنى وحده، ولا نعتمد على اللفظ والمعنى لا غير، وإنما نعتمد على اللفظ والمعنى وأشياء الأخرى فنية وتاريخية، ومن مجموع هذه الاشياء كلها نستخلص لأنفسنا مقياساً يقرب إلينا صواب الرأي في هذا الشعر الجاهلي المضري.

الكتاب السادس: الشعر طبيعته ونوعه و فنونه.

#### أ- تعريف الشعر الأدبي :

هناك اختلاف في معنى الشعر فمنهم من يرى أن الشعر هو كلام المنظوم في الوزن والقافية، ومنهم من يرى أن الشعر هو كلام الذي يعتمد فيه صاحبه على الخيال، ويقصد فيه إلى أن هذا الجمال الفني الذي يستهوي القلوب ولا يعنيه أن يكون هذا الكلام منظوما في الوزن والقافية أو غير منظوم، ومنهم من يقف موقفا وسط بين أولئك و هؤلاء، فلا يطلق لفظ الشعر إلا على الكلام المنظوم الذي يعتمد فيه صاحبه على الخيال ويقصد فيه إلى مجال الفني.

#### ب- موقف المعاصرين من الشعر العربي:

إن لكل شعر جيد من ناحيتين مختلفتين، فهو من ناحية مظهر من مظاهر الجمال الفني المطلق، وهو من هذه الناحية موجهة للناس جميعا، ولكن بشرط أن يعدو لفهمه و تذوقه، وهو من ناحية أخرى مرآة تمثل في قوة و ضعف شخصية الشاعر وبيئته ولو قد خلا الشعر من إحدى هاتين الخاصيتين لما كانت له قيمة حقيقية، فهو في الخانة الأولى مظهر من مظاهر الجمال الذي تطمح إليه الانسانية كلها، وهو من ناحية أخرى مصدر أصدق المصادر التاريخ إذ عرفنا كيف نقرأه ونفهمه و نخضعه لمناهج البحث العلمي.

#### ج- أنواع الشعر العربي:

لقد ظهر أنصار الجديد على الشعر الأجنبي قديمه وحديثه، وعرفوا أن هذا الشعر على أنه غني في نفسه خصب في لفظه، ومعناه كثير لأنواع متباين الفنون وله من ذلك الحظ ليس للشعر الغربي مثله وكيف لا وقد رأوا عند اليونان والرومان ما يسمى الشعر القصصي و الآخر يسمى الشعر الغنائي، والآخر يسمى الشعر التمثيلي، أو نوع لكل أنواع خصائص ومميزات وحظوظا من الجمال المختلفة وبالتالي فالشعر القصصي كما يعرفه أصحابه يعتمد على ذكر الأبطال والحروب كما يعتمد على الأشياء الأخرى منها اللفظي والمعنوي، فهو في لفظه مقيد بالألوان من الوزن والموسيقى، فهو مقيد في أداء نفسه بقيود معينة كما أنه يذكر الآلهة كذلك وهو في معناه الاجتماعي ينفي الشخصية الشاعر تماما.

والشعر التمثيلي يعتمد على الحوار لا يعرفه الشعر العربي، ولا يرد في لفظ أو وإنما هو حوار بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة، وهو يعتمد في الوقت نفسه عند القدماء بنوع خاص

على الغناء والرقص أما الشعر الغنائي الخالص هو شخصي معنى أنه يمثل قبل كل شيء نفسية الفرد وما يتصل بها من العاطفة وهوى وميل، وهو في النسب والحماسة والفخر وبالتالي فهذه الأنواع الثلاثة إنما ظهرت عند اليونان فكان الشعر القصصي طورا من الحياة الأدبية ملائما لحياة اليونان في سذاجتهم أثناء القرن العشرين، والشعر الغنائي طورا من أطوار الحياة الأدبية ملائما لراقي الشخصية الفردية عند اليونان وتطور الاجتماعي وكان الشعر التمثيلي أثر من آثار الحياة الديمقراطية والراقي العقلي والفلسفي.

#### د- بحور الشعر :

إن القدماء أقرب الى القصد من أنصار القديم فهم قد أراحوا أنفسهم وزعموا أن العرب توهمت أعاريض نظمت عليها الشعر، ثم أخذوا يعدون البحور للشعر، يحصون أعاريضه وضروبه وقوافيه، أما المحدثون فقد أرادوا أن يتجنبوا هذا الغموض فاندلع عضهم في الخيال حتى زعم أن الشعر العربي اشتقت له أوزانه من حركات الإبل حتى تقطع الصحراء في ضروب السير، اجتهدوا في أن يقاربوا بين أوزان الشعر وبين حركات الإبل، والظاهر أن هذا كله من ضرب الخيال وافتراض لا سبيل إلى تحقيقه والشيء الذي يظهر أن لا سبيل إلى الشك فيه هو أن لا سبيل إلى الشك فيه هو أن وزن الشعر العربي كوزن غيره من الشعر إنما هو أثر من آثار الموسيقى والغناء، فالشعر في أول أمره غناء ومن ذكر الغناء فقد ذكر اللحن و النغم والتقطيع.

## الكتاب السابع: النثر الجاهلي.

## أ- ظهور النثر:

النثر متأخر العهد بالقياس إلى الشعر، وهو لا يظهر ولا يقوى عادة إلا حين تظهر في الجماعة وتقوي هذه الملكة المفكرة التي نسميها العقل وحين تظهر وتشيع هذه الظاهرة الإجتماعية التي نسميها الكتابة فالعقل يفكر ويحتاج إلى أن يعلن تفكيره و ترويته، والكتابة تمكنه من أن يقيد تفكيره وترويته ويعلنهما إلى الناس، ولا بد أن تظهر آثار هذه القوة المفكرة التي نسميها العقل في الشعر قبل ظهورها في النثر حتى إذا ضاق الشعر وزنه وقافيته عن تفكير العقل إحتاج العقل إلى أن يتحلل في التعبير عن أغراضه وعن هذه القيود الشعرية، ثم بهذه اللغة والأساليب يصلحها ويهذبها حتى ينشأ له فن جديد ليس شعرا وليس لغة تحاط وإنما هو شيء وسيط بينهما ويقوى هذا الفن شيئا فشيئا بمقدار ما يقوى العقل ويرقى حتى يتم تكوينه، فإذا هو لغة التاريخ و الفلسفة والدين، وإنما هو مظهر من المظاهر الأدبية الخالصة.

## ب- النثر الجاهلي :

ليست الأمم في حاجة إلى أن تكون عظيمة الحظ والحضارة، لتقول الشعر وليست في حاجة إلى الكتابة لتقول الشعر، فإذا صح نسلم بأن المضريين قد قالوا الشعر في بداوتهم وضعف حظهم من الحضارة حين تحضروا قبل الاسلام فقد يكون من الحق أن نتردد فيما يضاف إليهم من نثر وليس لدينا أثر واحد مكتوب فيه نص عربي مضري كتب قبل الإسلام، وإذا صح الإعتماد على الرواية بعض الشيء في الشعر، فليس من البحث العلمي في شيء أن نعتمد على الرواية وحدها من النثر فنحن مضطرون إلى ان نرفض هذا النثر الكثير الذي يضاف إلى المضريين قبل الإسلام، مع أننا نقبل قبل ما يضاف إليهم من الشعر.

## ج- صورة النثر الجاهلي :

غن هذا النثر الذي يضاف إلى الجاهلين إنما هو شيء واحد وهو أن من الممكن قد حاول الكثير أو قليلا تقليد ما كان للعرب في جاهليتهم من نثر فحفظ لنا صورة ما من هذا النثر الجاهلي، دون أن يحفظ لنا نصا من نصوصه كما نشأ فيها نوع من النثر لم يتحلل من قيود الشعر كلها وإنما تحلل منها بعض الشيء لم يلتزم فيه الوزن، وإنما التزمت فيه القافية التزاما ما بحيث كان هناك نوعان من النثر، إحداهما فني لم يتحلل من القيود الشعرية التحليل المطلق، والأخرى عادي إعتد على التخاطب مخالف كل المخالفة لما اتفق عليه الأساتذة ، فكثرة الشعر الجاهلي بين مرفوض ومشكوك فيه وقلته في حاجة إلى الدرس، وما يضاف إلى الجاهلين من نثر لا قيمة له ولا غناء عنه. إذا فهل ضاع العصر الجاهلي حقا ؟

لقد رأينا في ذلك حين قلنا أن الحياة الجاهلية يجب أن تلتبس في القرآن لا في الأدب الجاهلي وبالتالي فالأدب الجاهلي كما نظر المؤرخ إلى ما قبل التاريخ، و يتخذ لدرسه وسائل التي تتخذ لدرس ما قبل التاريخ، فأما تاريخ الأدب حقا التاريخ الذي يمكن أن يدرس في ثقة وإطمئنان وعلى أرض ثابتة لا تضطرب ولا تزول، فإنما ابتداء بالقران.

كان البحث شاقا وممتعا في رحلتنا العلمية مع أحد أعمدة الأدب العربي الحديث إن الكتاب "في الأدب الجاهلي" الذي رأى النور في اخريات الثلث الأول من القرن الماضي، كان صيدا سهلا للكثير من الأقلام التي تناولته بالنقد وبالهجوم بسبب أطروحته الجزئية وكانت أعماله هي مادة التحليل، وقد ناقشت أبرز آرائه النقدية المتصلة بموقفه من الشعر الجاهلي والأدب الجاهلي، تعسف الدارسين لمواقفه النقدية، ومن المبررات النقدية التي اعتمدها طه حسين في تجربته النقدية، والتي كانت لهو أسبابه ودواعيه الموضوعية في كل ما ذهب إليه..وظهرت توجهاته النقدية البارزة في كتابه في الشعر الجاهلي، وجرأته النقدية وعدم خوفه من إطلاق آرائه التي يؤمن بها ولو كان ذلك على حساب حياته الشخصية. وقد قادنا البحث إلى استخلاص النتائج التالية:

إن طه حسين سعى بكل قوته لإقناع القارئ متخذا قصد الوصول إلى تحقيق ذلك أسلوبا تدرجيا، يظهر في اعتماده على ثلاث مقدمات قبل الشروع في تأليف كتاب " في الأدب الجاهلي"

أ- المقدمة الأولى : كبيرة تتمثل في دراسة خصوصيات الأدب القديم من جاهلي وأموي وعباسي في كتابه " حديث الأربعاء" ، توصل من خلال بحثه إلى تحديد نقاط التشابه بين الأدب العباسي، والأدب الأموي والجاهلي، يعمد إلى توظيفها فيما بعد في كتابه " في الأدب الجاهلي"

ب - المقدمة الثانية: نجدها في تمهيد الكتاب الأول من كتابه " في الشعر الجاهلي " الذي صدر سنة 1926م، والذي حاول من خلالها أن يبين ضرورة اتباع المنهج الديكارتي الذي يقوم على الشك لدراسة الأدب.

ج- المقدمة الثالثة: في كتابه الذي أعاد طبعه تحت عنوان " في الأدب الجاهلي " في سنة 1927م تضمنها الكتاب الأول منه " الأدب وتاريخه"، حيث تناول فيه حالة الثقافة ودرس الأدب والصلة بين الأدب وتاريخه بصفة عامة في مصر مقترحا سبلا للإصلاح، كل هذا في إطار إقناعه لقراءه بضرورة انتهاج هذا المنهج الجديد في دراسة الأدب.

ومن هذه المقدمات نلاحظ أن طه حسين قد قلب المعادلة فبدلاً من القول أن الإسلاميين نسجوا شعرهم على منوال الجاهليين على أساس تبعية اللاحق للسابق، ذهب إلى القول أن الإسلاميين وضعوا الشعر الجاهلي واختلقوه اختلاقاً على غير نموذج وادعوا أنه من صنع الشعراء الجاهليين، وقد عمل طه حسين على تعميم أحكامه النقدية على الأدب الجاهلي بأنه منحول من قبل الإسلاميين، واتهامه لهم بتواطئهم على وضع عصر أدبي أسموه بالأدب الجاهلي.

إسهاب طه حسين في الحديث عن السياسة وعن تأثير العصبية في الحياة السياسية، لكنه لم يبين تأثير ذلك في الشعر، وعجزه عن الإتيان بالشواهد التي توضح كيف تأثر الشعراء بالسياسة وكتبوا شعراً يدل على تعصبهم..وانتهيت إلى أن طه حسين قد خاض معركة نقدية وكان يمتلك أسلحته العلمية في ذلك والدليل أن كتابه "في الأدب الجاهلي" لا يزال يدفع الدرسين إلى البحث والنقاش ولا يزال يتناوله الدارسون على اختلاف آرائهم وميولاتهم.

- أ- ابن خلدون مقدمة، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، (د.ت).
- ب- أبو نصر الفارابي، الموسيقى الكبير، غطاس عبد الملك خشبة، مراجعة محمود أحمد الحفني، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.
- ج- ديفيد صمويل مرجوليوث، نشأة الشعر العربي، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، لبنان ط1، سنة 1979م
- د- سعيد، ادوارد، الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، ط6، لبنان، دار الأبحاث العربية، 2003م
- هـ- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار دار المعارف، مصر، 1962م.
- و- كارل نلليو، تاريخ الآداب العربية، دار المعارف ، مصر، 1970م
- ز- ديفيد صمويل مرجوليوث، نشأة الشعر العربي، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، لبنان ط1، سنة 1979م.
- ح- ريجيس بلاشير، تاريخ الأدب العربي. ، تر. إبراهيم الكيلاني، الدار التونسية للنشر، تونس 1986م.
- ط- أنور وجدي، طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، دار أبو السلامة للطباعة والنشر والتوزيع، قضايا ومواقف دار المعارف تونس، 2000 م ص 61.
- ي- المجموعة الكاملة الأيام، لطف حسين، المجلد الأول، دار الكتاب، لبنان، 1995م، ص 7
- ك- طه حسين، الأيام ، دار المعارف بمصر ط3، ج3، 1992 م، ص 44
- ل- فخرية خوج ، دراسة تحليلية للآراء طه حسين، سنة 1997 م، ص 44
- م- طه حسين، فصول في الأدب والنقد، 2013م ، ص 84
- ن- خالد الكركي، طه حسين روائياً، دار الجبل بيروت، لبنان مكتبة الرائد العلمية، عمان- الأردن، ط1، 1992م، ص40

- س- رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، الخانجي بالقاهرة، ط6 ، سنة 1999م، ص 111
- ع- دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، عبد الرحمان بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، 1979 م، ص 58
- ف- عبد الرحمان بدوي، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، دار العلم للملايين، بيروت، 1979 م، ص 58
- ص- اسماعيل أحمد عميرة، بحوث في الإستشراق، ط1 ، عمان دار وائل للطباعة و النشر و التوزيع، سنة 2003 م، ص 543
- ق- سامح كريم ، ماذا يبقى من طه حسين، دار العلوم ، بيروت -لبنان ، سنة 1974م، ص 115- 117
- ر- طه حسين ، في الأدب الجاهلي، دار المعارف مصر، ط11، 1927م
- ش- عبد المنعم تليمة، في الشعر الجاهلي الكتاب والقضية، رؤية للنشر والتوزيع القاهرة، ط1، 2007م
- ت- طه حسين، ديكرات في من بعيد، المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين، المجلد 12، بيروت، 1974م، ص 211-212
- ث- محمد أحمد الغمراوي، النقد التحليلي للكتاب في الأدب الجاهلي، المطبعة السافية، سنة 1929م، ص 101- 123
- خ- حسن أحمد جغام، قضايا ومواقف، دار المعارف تونس، 2000م ، ص 98
- ذ- قضايا ومواقف، حسن أحمد جغام، دار المعارف تونس، 2000 م، ص 98
- ض- المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين ، الشركة العالمية للكتاب ، المجلد 12، ط1، 1982م ، ص 214 ،
- غ- أنور وجدي، نظرية ديكرات ومنهج الشك الفلسفي في كتاب الأدب الجاهلي، مجلة إسلامية الثقافية، الكويت، العدد الخامس، سنة 2000 م، ص 122
- ظ- عمرو زاير، الحركة النقدية حول كتاب طه حسين في الشعر الجاهلي، مذكرة لنيل شهادة ماجيستر في اللغة العربية، جامعة الجزائر، سنة 2008/2007 م، ص 157

- أ- الخطيب علي أحمد، الشعر الجاهلي بين الرواية والتدوين، مكتبة الدار المصرية اللبنانية، سنة 2003م
- بب- بلاسي محمد ، قضية الانتحال في الشعر الجاهلي، مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم، يونيو 2010 م، ص 55
- جج- عبد الرحمان بدوي، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، دار العلم للملايين، بيروت، 1979 م

### المجلات

- أ- علي شلش، بعنوان " في ذكرى طه حسين "، العدد 164، نوفمبر 1974 م، ص 63
- ب- مجلة المخبر، ابحاث في اللغة العربية والأدب الجزائري، جامعة بسكرة ، الجزائر، 2016م ص 231
- ج- يحي ولي فاتح حيدر، مرجيلوث واستغرابيه طه حسين، مجلة الآداب، العدد 157، 2013م، ص 122
- د- عمر مهيبيل، مقالة الطريقة "ديكارت"، المؤسسة الوطنية لفنون الطبيعية، لا الجزائر، ط1، 1991م، ص 13-15

	إهداء
	الشكر
أ	مقدمة
02	مدخل
<b>الفصل الأول</b>	
<b>نبذة عن طه حسين</b>	
09	1. طه حسين الميلاد و النشأة.....
09	• جامعة الأزهر وموهبة طه حسين العلمية.....
12	2. ثقافة طه حسين.....
13	• مؤلفات طه حسين.....
16	3. أبرز أعماله.....
<b>الفصل الثاني</b>	
<b>أثر الفكر الاستشراقي في منهج طه حسين</b>	
20	1. آراء طه حسين وأفكار مرجليوث في رواية الشعر الجاهلي.....
21	2. طه حسين و فكر الاستشراق.....
23	3. لمحة عن الكتاب.....
25	4. من كتاب في الشعر الجاهلي إلى كتاب في الأدب الجاهلي.....
27	• المناصرون للكتاب ومنهجه.....
30	• المعارضون على المنهج.....
30	5. مرتكزات منهج البحث لدى طه حسين.....
31	• منهج طه حسين.....
32	• رؤية طه حسين ومنهج الشك الديكارتية.....
<b>الفصل الثالث</b>	
<b>قراءة في كتاب "في الأدب الجاهلي"</b>	
37	1. مضمون طبعة الكتاب.....
38	2. الشك في منهجية طه حسين حول كتابه في الشعر الجاهلي.....
45	• نتائج الشك.....
47	3. ملخص الكتاب في الأدب الجاهلي.....
61	خاتمة.....
64	قائمة المراجع.....
68	الفهرس.....

